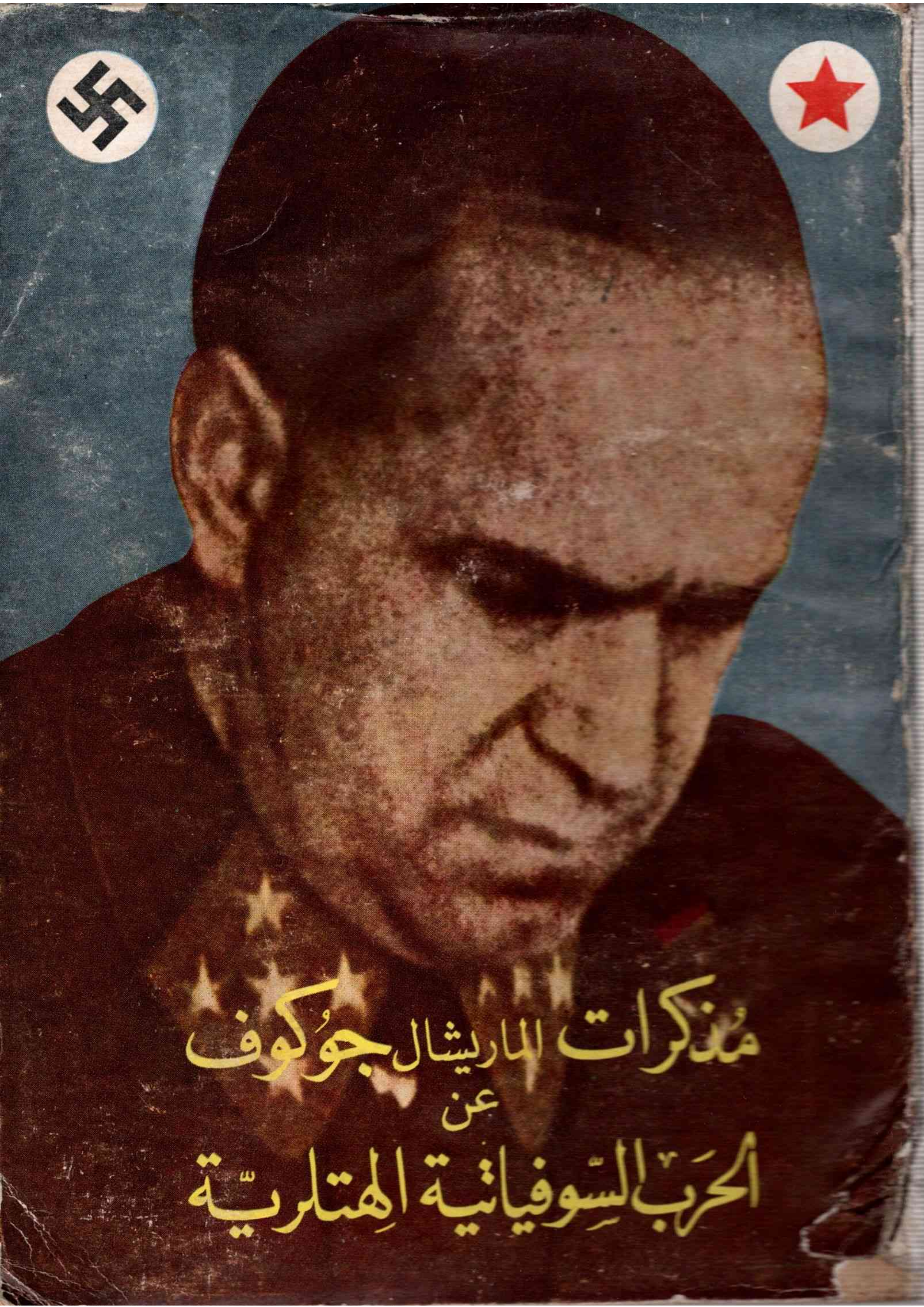

مذكرات المارشال جوكوف
عن
الحرب السوفياتية الهتلرية

مذكرات الماريشال جوكوف

Стали человек
Алим.

مذكرات الماريشال جوكوف
عن
الحرب السوفياتية الهتلرية

ترجمة
الاستاذ حنا عاصي

الشركة اللبنانية للكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت . لبنان

— ١ —

عشية المعركة

في اوائل تشرين الاول عام ١٩٤١ كنت في لينينغراد اقــود جبهتها ، لقد قاسينا جميعا صعوبة الوضع الناشيء عن القتال المرير خــلال ايلول الفائت دفاعا عن المدينة ، وقد نجحت قواتنا في تفشيل مخططات العــدو وابطال امكاناته من اختراق خط الدفاع السوفياتي الى مشارف المدينــة بفضل بطولة جنودنا وصمودهم وقوة الاحتمال عند قادتنا وساستنا •

في نهاية ايلول خف الضغط عن جميع القطاعات وعاد خط المواجهة الى الاستقرار ، لا لان هذا ليس مجال التحدث عن القتال في لينينغــراد ولا عن محاولة اسقاط المدينة التي سميت باسم لينين بل لمجرد التــوكيد على اننا جميعا من مجلس الجبهة العسكري الى مقاتلي المدينة كنا نفكــر بشيء واحد الا وهو ايقاف العدو مهما كانت النتائج • لقد عمل كل منا ما استطاعه في حقله • وكان مجلس الجبهة العسكــري يتألف مــن الرفاق جدانوف وكوزنتسوف وشتايكوف وكبوستن وسولوفييف الذين كانوا يعملون معا بانسجام فعال كما ساهم كل منهم في سبيل القضية العامة وفي حماية المدينة التي كان يتهددها الفناء في تلك الايام العصيبة مــن ايلول عام ١٩٤١ • ولسوء الطالع لم يبق احد من هؤلاء على قيد الحياة اليوم•

وعلى الرغم من متاعبنا الخاصة المباشرة فقد كنا مرتاحين الى الموقف في القطاعات الاخرى على طول الجبهة السوفياتية الالمانية . وكوني عضوا في هيئة القيادة العليا فقد تسلمت معلومات سرية من هيئة الاركان العامة مكنتني من تفهم واقع الخطر المحيق بالبلاد . وكما نعلم فقد حققت قوات العدو نجاحات باهرة في الاشهر الثلاثة الاولى من الحرب فاحتلت بيلوروسيا ومولدافيا وقسما كبيرا من اوكرانيا وليتوانيا ولاتفيا واستونيا ثم حاصرت لينينغراد في نهاية ايلول واحتشدت كتائب كبيرة منها على مبعدة من مدينة موسكو لاحتلالها . حقق العدو هذه الانتصارات على جماجم افضل عناصره في الجيش والقوات الجوية : وبقدر ما توغل في بلادنا بقدر ما اشتدت مقاومتنا له . آثر العدو آنذاك ان يحتل منطقة القرم وحوض نهر الدون . وبعد ان توقع هجوما سوفياتيا على جناحي مجمع جيوشه في الجبهة الغربية ـ الجنوبية اوقف الزحف مؤقتا نحو موسكو وحول قسما كبيرا من قواته لتعزيز هذه الجبهة وتمكن من دحر قواتنا فيها قبيل زحفه الى موسكو في شهر ايلول واحتل كييف عاصمة اوكرانيا . وقد اسكرت خمرة هذا الانتصار القيادة الهتلرية العليا فاعتدت بامكانات جيوشها واخطأت حساباتها الستراتيجية في مخطط الهجوم العام على موسكو اعتقادا منها بأن القوات السوفياتية قد وهنت عزيمتها وضعفت معنوياتها وشلت قدرة دفاعها عن العاصمة .

وشعورا منها بخطورة الموقف فقد اتخذت لجنة الدفاع القومي بالعمل مع الحكومة والحزب الشيوعي خطوات حاسمة لمواجهة الخطر المداهم للبلاد وللعاصمة بالذات . وفي تشرين الاول بدأ العدو هجومه لاحتلال العاصمة وكنا نحن قد فتحنا ثلاث جبهات على مبعدة من العاصمة مهمتها الدفاع والصمود لا غير . فكانت الجبهة الغربية بقيادة كونيف والجبهة الاحتياطية بقيادة بوديني وجبهة يرانيسك بقيادة يرمنكو . وبلغت حشود

الجبهات الثلاث ٨٠٠ الف جندي و ٧٧٠ دبابة و ٩١٥٠ بندقية ، يقابل هذا الحشد من الجانب الالماني ما ينوف عن المليون جندي و ١٧٠٠ دبابة و ١٩ الف رشاش وبندقية ومدفع هاون يعززها الاسطول الجوي الثاني القوي بقيادة الماريشال كرلنغ • وقد ركـز العدو هجومه علـى الجبهة الغربية المعتمدة • وفي ١٦ ايلول امر هتلر قواته باختراق خطوط الدفاع السوفياتية وتطويق الجبهات الثلاث ومطاردة قوات المؤخرة والتعزيزات الاخـرى والانقضاض على موسكو من الشمال والجنوب واخضاعها • وفي نهـاية ايلول اعلنت الاستخبارات السرية ان العدو يعد خطة اخرى لهجوم اعنف على العاصمة • فحذرت القيادة العليا قادة الجبهات من خطورة المـوقف المنتظر وحثتهم على اليقظة والصمود • ومخطط القيادة العام هو انـزال الضربات بالعدو وتكبيده اكبر خسارة ممكنة ومنعه من اختراق خطـوط الدفـاع هذه •

بدأ بناء التحصينات على نطاق واسع على المنافذ والمسالك الرئيسية المؤدية الى العاصمة التي دأبت هـي بدورها في اعداد نفسها للمعـركة وتنظيم دفاعها وتنسيقه • وشرع عمالها بالاشتراك مع عمال المدن الثلاث التابعة لمحافظتها ـ كالوغاوتيولا وكالينين ـ باقامة المتـاريس في الشوارع وبناء التحصينات على المشارف حولها • وقام مهنـدسو الجيش بـزرع الالغام واقامة الحواجز المختلفة واولوا التغطية الجوية للعاصمة عنـاية خاصة ، وبناء على نداء وجهته لجنة الحزب الشيوعي في العاصمة تطـوع مئات من الفرق الشعبية للتدريب على الدفاع الجوي والاسعاف الاولي • كما فرض التعتيم في المدينة وضواحيها وموهت الاهداف العسكريةوالمباني الحكومية ، وبناء على نداء مماثل وجهته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تألفت ١٧ فرقة شعبية من المتطوعين تمركـز منها ١٢ فـرقة صورية على مشارف المدينة والفرق الخمس الاخرى تابعت تدريبها • ووضعت منظمات

الحزب المختلفة جميع امكاناتها في خدمة الدفاع عن المدينة فتحولت الى معقل حصين •

بدأ العدو هجومه على جبهة يرابنسك في ٣٠ ايلول وتناول لواءها الـ ٤٣ ، ثم هاجم الجبهة الغربية المحصنة وجبهة الاحتياط وتناول الوتيها الـ ١٣ و ١٩ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٩ • وتمكنت قوات الانقضاض الالمانية (قوات الصاعقة) من فتح ثغرات كبيرة في الجبهات الثلاث دون مقاومة تذكر بحيث سهلت لجيوشها عملية تطويق محكمة مكنتها من مواصلة زحفها واحتلالها اوريل في ٣ تشرين الاول واصبحت مدينة تيولا التابعة لمحافظة موسكو مفتوحة للخطر المباشر • وقد بلغ القتال اشده شمالي ديوفوشينا وشرقي روزلافل ضد لواءي الجبهة الغربية الـ ١٣ و ١٩ وضد لواء جبهة يرابنسك الـ ٤٣ • وبناء على اوامر كونيف قائد الجبهة الغربية صادمت مجموعة من الجيش السوفياتي بقيادة بولدن قوات العدو المتقدمة من الشمال الا انها باءت بالفشل • وفي ٦ تشرين الاول تمكن الالمان من محاصرة الجبهة الغربية وجبهة الاحتياط وقطعوا عنها الامدادات وفي التاريخ نفسه هدد العدو باختراق خط موسكو ـ منسك باتجاه خط موجسك عبر خطوارسو الى ملوياروسلافتس• ولم تكن التحصينات قد اكتملت بعد على المنافذ الرئيسية الى موسكو فتعرضت المدينة للخطر المباشر • وقد اتخذت لجنة الدفاع القومي بالعمل مع لجنة الحزب المركزية والقيادة العليا الاجراءات الممكنة لايقاف تقدم العدو وسارعت في ٧ تشرين الاول الى ارسال النجدة الى حامية خط موجسك وعززتها بالمدفعية والرشاشات المتوفرة لدى القيادة العليا بعد ان تأخر نقل الجيوش من الشرق الاقصى والاماكن الاخرى النائية •

تسلمت عشية ٦تشرين الاول مخابرة هاتفية من القائد الاعلىجوزيف ستالين يستطلع فيها عن الموقف في لينينغراد • فأخبرته ان العدو قد اوقف

هجماته وانه قد تكبد خسائر فادحة استنادا الى انباء وردت من بعض الاسرى وانه الان في موقف الدفاع الا انه كان يتابع قصف المدينة • وقد لاحظت طائراتنا الاستطلاعية تحركات ملموسة لآليات العدو باتجاه موسكو لتعزيز قواته الزاحفة الى المدينة • لقد استمع ستالين الى تقريري هذا ثم صمت برهة وقال ان الموقف خطير للغاية في قطاع موسكو وعلى الجبهة الغربية المعتمدة بالذات • ثم امرني ان اسلم رئاسة الاركان الى الجنرال خوزن وان اطير فورا الى موسكو •

حطت طائرتنا في المطار المركزي عند الغسق في ٧ تشرين الاول فتوجهت توا الى الكرملن ، فاستقبلني ستالين في غرفته هازا رأسه وكان يشكو الانفلونزا ، ثم اشار الى خريطة وقال : نحن في خطر على الجبهة ومع ذلك لا استطيع ان احصل على تقرير مفصل عما يجري هناك • وطلب مني ان اذهب حالا الى مركز القيادة لتقصي الحقائق وابلاغه هاتفيا اي وقت من تلك العشية • وقال انه سيكون بانتظار المكالمة وانهى الحديث • وصلت الاركان بعد ١٥ دقيقة وقابلت الماريشال شابوشنيكوف وكان يبدو متعبا جدا • فأخبرني انه كان قد تلقى مخابرة من ستالين يطلب منه فيها اعطائي خريطة دقيقة عن القطاعات الغربية ، تحدثنا بعض الوقت عن متاعنا على الجبهات وعن ضرورة الاسراع في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بايقاف او عرقلة تقدم العدو المستمر ! حضرت الخريطة المطلوبة فحملتها مسرعا الى مقر قيادة الجبهة الغربية ووصلت في ساعة متأخرة من الليل ، فأخبرني الضابط المناوب ان القادة ومنهم كونيف وبولغانين في اجتماع طارىء في غرفة ضئيلة الانوار لبحث الموقف وما يكتنفه من غموض ، فدخلت عليهم واخبرتهم ان القائد الاعلى قد اوفدني لاستطلاع الامور بسرعة وابلاغه هاتفيا هذه الليلة • فقال بولغانين انه قد تكلم مع ستالين الا انه لم يستطع اعطاءه معلومات حسية عن مصير الجيوش

المحاصرة غربي قطاع فايزما . ثم قال الجنرال ملاندن ردا على سؤال طرحته عليه ان العدو بين ٢ و ٧ تشرين الاول قد عزز قواته المرابطة على الطرق المؤدية الى موسكو بحيث اصبحت ضعف قواتنا في الجبهات الثلاث عددا وعدة . وفي نهاية ٧ تشرين الاول لم يبق لدينا في الغرب ما يسمى بالجبهة وتعذر علينا سد هذا النقص بسبب نفاذ الاحتياط والمدربين . وفي اواخر ايلول اعلنت الاستخبارات السوفياتية ان تجمعات كبيرة للعدو على مسالك موسكو تعد هجوما واسع النطاق على المدينة في ٢٧ ايلول على وجه التحديد ، فحذرت القيادة العليا قادة الجبهات من ان الهجوم قد يبدأ بين يوم وآخر ، والهجمات الالمانية كانت متوقعة وقد بدأت فعلا منذ اللحظة الاولى للحرب ، والحاميات المعدة للدفاع عن موسكو كانت على مستوى القتال . الا ان الدفاع الناجح هو التوقيت الناجح والحشد السريع في الظروف المؤاتية والاماكن المناسبة ، انما مع الاسف لم يتوفر شيء من هذا عند قادتنا وعليه لم تستطع قواتنا الصمود في وجه ضربات العدو المركزة والموقوتة .

اتصلت بستالين الساعة ٢:٣٠ بعد منتصف الليل وكان لا يزال في مقر عمله فأطلعته على الموقف على الجبهة الغربية ذاكرا له ان الخطر الرئيسي يكمن وراء الطرق المفتوحة الى موسكو لان التحصينات على خط موجسك الستراتيجي غير كفيلة بالصمود امام آليات العدو الضخمة ونصحته بحشد ما توفر لدينا من قوات وامكانات على هذا الخط الرئيسي الهام ، وسألني ستالين عن موقع الالوية ١٦ و ١٩ و ٢٠ وعن مجموعة بولدن في الجبهة الغربية وعن موقع لواءي جبهة الاحتياط الـ ٢٤ و ٣٢ فأخبرته انها محاصرة جميعا في قطاع فايزما غربا وشمالا . قال : وما تنوي ان تفعل به ! قلت : ساتصل بقادة الجبهات وهيئات الاركان بوصفي مكلفا من قبلكم للوقوف على طبيعة الاوضاع وابلاغكم دقائقها في الحال .

زرت مقر قيادة جبهة الاحتياط وسألت عن قائدها بوديني فقيل لي انه قام البارحة بتفقد الخطوط الامامية للجبهة ولـم يعد بعد لا هو ولا ضباط الاستطلاع اللذين أرسلوا وراءه للتفتيش عنه • ولم يستطع كـل من انيسوف ومخليس ان يزودني بأية معلومات قيمة عن طبيعة المـوقف بحجة انهما منهمكان بتجميع اشتات الجنود اللذين انسحبوا على غير هدى واعادة تسليحهم وتنظيمهم في وحدات جديدة ، عندئذ لم ار بدا من متابعة جولتي الى قطاع يوخنوف مرورا بقطاعي ملوياروسلافتس وميدين عـلى امل ان استوضح الامور بنفسي قدر المستطاع • ولما اجتزت برتغا الـى اوبننسكوي لم يسعني الا ان اتـذكر طفولتي ونشأتي • من هذه المحطة كانت امي قد ارسلتني الى موسكو للتدرب عـلى اعمال تجارة الفرو في سن الثانية عشرة • وبعد اربع سنوات من معاطاة هـذه الاعمال اصبحت اتقن هذه المهنة ورحت ازور والدي في القرية بين اسبوع وآخر •

كان العدو يقيم في المنطقة التي يحتلها بعضا من الوقت لتخريبهـا وقتل نسائها واطفالها واحـراق منازلها ، ثم يغادرها الى مناطق اخـرى جديدة للغاية نفسها • اجتمعت بالقائد بوديني في قرية سترلكوفكا مـن اعمال ملوديا روسلافتس فتبادلنا المعلومات حول الجبهات واطلعنا معا على تطورات القتال • ثـم تابعت مسيري فأوقفني بعض الجنود مـن فرقـة المدرعات بقيادة ترويشكي الذي تغلب عام ١٩٣٩ على جيوش الامبراطورية اليابانية قرب مرتفعات بينتسغان • وبعـد ان عرفت عن نفسي سهلـوا سبيلي للوصول الى مقر قيادته ، اجتمعت به فأخبرني ان العدو قد اجتاز جسر نهر اليوغرا واحتل يوخنوف • لم يستطع العدو احتلال مدينة كالوغا انما كان القتال حولها عنيفا ضاريا بفضل فرقة المدرعات بقيادة ترويتسكي التابعة مباشرة لقيادة الاحتياط العليا • لقد عملت هذه الفرقة طيلة يومين دون ان تتلقى اوامر من قيادتها •

امرت تروتيسكي بأن يرسل بعضا من ضباط الاستطلاع الى مقر قيادة جبهة الاحتياط قرب محطة اوبنسكوف لاطلاع الماريشال يودين على الوضع • وكان على فرقة المدرعات هذه ان تحتل الطريق الممتد من الموقع الحالي الى مشارف مدين • وامرت تروتسكي كذلك بأن يبلغ تعليماتي هذه الى هيئة اركان جبهة الاحتياط • ثم تابعت طريقي الى كالوغا حيث لحق بي هناك احد ضباط الاستطلاع من جبهة الاحتياط في ٧ تشرين الاول وسلمني مذكرة هاتفية من الماريشال شايوشنيكوف يأمرني فيها ستالين بتسلم قيادة الجبهة الغربية والالتحاق بعملي فورا ، وبهذا انتهت رحلتي الاستطلاعية التي استغرقت يومين بناء على اوامر ستالين •

في صبيحة ١٠ تشرين الاول بلغت مقر قيادة الجبهة الغربية في كرستوفيدوفو على بعد ثلاثة اميال الى الشمال الغربي من خط موجيسك• وهنا اجتمعت بمندوبي لجنة الدفاع القومي المؤلفة من فورشيلوف وفاسيلفسكي ومالينكوف ومولوتوف • لم اعلم ما هي المعلومات التي ابلغوها موسكو الا ان قدومهم الى الجبهة الغربية في هذا الظرف العصيب بالذات لهو دلالة واضحة على ان ستالين بات قلقا فوق العادة على مصير العاصمة • لم يبق هنا ريب في ان قوات الجبهات الثلاث قد تقهقرت كثيرا في الايام العشرة الاولى من الزحف الالماني • وقد تبين فيما بعد ان القيادات قد ارتكبت اخطاء جسيمة في تقييم قدرة العدو ولم تعرف كذلك او انها اهملت مراكز الضعف في خطوط جبهاتها فباتت عرضة لقوات الصاعقة الالمانية تفتح فيها الثغرات وشهد لجيوشها عمليات التطويق والمحاصرة • ان حاميات الخطوط الدفاعية في فايزما لم تتلق من قيادتها امرا بالانسحاب بعد ان تمكن العدو من اختراق هذه الخطوط وهدد حامياتها بالتطويق والمحاصرة • وتتيجة لهذه الاخطاء وقعت الالوية ١٦ و١٩ و ٢٠ و ٢٤ و ٣٢ في فخ العدو البغيض• كنت في حديث مع المندوبين

عندما طلب مني الاتصال هاتفيا بالقائد الاعلى ، وفي مكالمتي معه سألني فيما اذا كان لدي اي اعتراض على تسلم مهمتي الجديدة ، فأجبته بالطبع انه لم يكن لدي اي عذر للاعتراض • وشعرت من حديثه معي انه ينوي تغيير كامل القيادة في الجبهة الغربية ، فرجوته ان هذا ليس بالسبيل الافضل للخروج من مأزق الوضع الراهن • فاقتنع ان يبقى كونيف نائبا للقيادة وان يسلمه قيادة حاميات المسالك الى مدينة كالينيني لكونها بعيدة عن مقر قيادة الجبهة الغربية وتتطلب عناية خاصة منفردة • وابلغني انه قرر دمج ما تبقى من قوات جبهة الاحتياط وحاميات خط موجيسك واحتياط القيادة العليا في قوات الجبهة الغربية وامرني ان اتدبر امورها بسرعة • فمثلت لامره بالحال وطلبت اليه ان يجهز احتياطيا ضخما لان العدو قد يقوم بهجوم آخر اشد عنفا في المستقبل القريب العاجل •

- ٢ -

جوكوف يتسلم القيادة

بحثت الموقف مع كونيف والجنرال سوكولوفسكي رئيس هيئة اركان الجبهة الغربية وقررنا نقل مقر القيادة الى الابينو . اما كونيف فكان عليه ان يستجمع هيئة قيادة من كبار الضباط لتنسيق العمليات الحربية في قطاع كالينين . وكان علي ان اذهب مع بولغانين الى خط موجيسك المحصن لاجتماع عاجل مع الكولونيل بوغدانون قائد المنطقة . وفي اصيل العاشر من تشرين الاول وصلنا مقر القيادة الواقع في قلب المدينة . ابلغنا بوغدانوف ان معركة تدور رحاها الان على مشارف مدينة بورودينو بين وحدات العدو الآلية ولواء المشاة السوفياتي الـ ٣٢ بقيادة الكولونيل بولوسوخن تسانده المدفعية والدبابات . وكان دوي القصف والانفجارات يقرع آذاننا بوضوح . فأمرت بوغدانوف بالصمود المطلق وعدت الى مقر القيادة في ألابينو . وهناك آنست استعدادا مشجعا للشروع باقامة تحصينات عريضة على طول الخط الممتد من مدينة فولوكولامسك مرورا بمدينتي موجيسك وملوياروسلافتس الى كالوغا المدينة التابعة لمحافظة موسكو . وقررنا تعزيز حماية هذا الخط بالاحتياط المتوفر ، وخط موجيسك هذا له ميزة ستراتيجية خاصة يعتمد عليها بفضل انهر

لامادلوسكفا وكولو شاولوجاوسوخودريف ذات الضفاف المنحدرة بحيث تشكل عائقا فعالا في وجه عبور الدبابات العدوة • وفي مؤخرة هذا الخط هناك شبكة كثيفة من طرق المواصلات والسكك الحديدية سهل لجيوشنا عمليات التحرك السريع • وطبيعة المنطقة هذه أمنت لنااقامة خطوط دفاع متراصة تدعم قدرتنا على مقاومة محاولات العدو فتح ثغرات فيها •

المشكلة الكبرى التي كنا نعانيها هي النقص في قواتنا المسلحة على طول خط موجيسك البالغ ١٣٥ ميلا • وفي العاشر من تشرين الاول كان يحمي هذا الخط ٤٥ فرقة بعضها مشاة بالبنادق والبعض الاخر بالمدفعية والرشاشات في حال يجب ان يحميه ١٥٠ فرقة كما كان مقررا له • ولذلك وضع النقص في كثافة الجيوش على طول هذا الخط وبات الطريق الى موسكو مكشوفا للخطر •

سارعت القيادة العليا الى اتخاذ اجراءات طارئة لردع الخطر عن العاصمة • ففي ٩ تشرين الاول رسمت خط موجيسك بجبهة احتياط موسكو وشكلت مجلسا عسكريا لها بقيادة الجنرال آتيمييف وعضوية تليجين والجنرال كودرياشوف رئيسا للاركان وجهزته بخمس فرق مشاة بالرشاشات وعشر فرق مدفعية مضادة للدبابات وخمس فرق استجمعت حديثا لهذه الغاية • وفي ١١ تشرين الاول الحقت قوات خط موجيسك باللواء الخامس تحت قيادة الفريق ليلبوشنكو • ومنطقه الدفاع الجديدة هذه قد عززت كذلك بوحدات منسجمة من جبهتي الاحتياط والغربية وبوحدات اخرى من الجناح الايمن للجبهة الغربية والجبهة الشمالية الغربية ، والجنوبية الغربية بالاضافة الى الاحتياط المستجمع من داخل البلاد مع المتطوعين نساء ورجالا من مختلف الجمهوريات السوفياتية اللذين لبوا نداء الحزب والحكومة للدفاع عن

موسكو • كان على الجبهة الغربية ان تعين مواقع القوات الجديدة دون اضاعة الوقت وتمدها بالسلاح وتنسق دفاعها في القطاعـات المهددة وان تؤهب الاحتياط للتحرك حيث تدعو الحاجة •

لقد عمل الجميع ليلا نهارا ، بعضهم سقط من التعب والبعض الاخر من النعاس • كل عمل في حقله ما استطاعه حتى المستحيل • لقد قـادهم الشعور بالمسؤولية ، شعبا وحكاما وقادة وساسة ، الى الدفاع المطلـق عن مصير البلاد قاطبة بنشاط واخلاص وتصميم منقطعـة النظير فاقبلوا على التمرس بالقتال واعداد ذاتهم للمعركة ومحاولتهـم خلق الثقـة في نفوس جنودهم ورفع المعنويات بين صفوف مختلف المقـاتلين السوفيات ونذرهم للبلاد بالنصر المبين المحتم على العدو قبل ان ينال من العاصمة •

بنـاء على امر من القيادة العليا تم دمج جميع الوحدات العسكرية والمنظمات التابعة لجبهة احتياط موسكو بالجبهة الغربية الحديثة اعتبارا من ١٢ تشرين الاول الـوقت الذي كانت تتفـاقم فيه خطورة المـوقف العسكري في البلاد • وقد انعكس هذا في تقرير للمجلس العسكري ان العدو تسانـده فرقتا دبابات وفرقة آليات وثـلاث فرق مشاة قد احتل مدينتي شارشكا وزوبتسوف في طريقه الى كالينين • وقد تمكنت احدى وحدات دبابات العدو المتقدمة نحو كالينين ان تصل الى مسافة ١٥ ميلا جنوب شرقي ستاريتسا في ١٢ تشرين الاول• وعليه فقد اصدرت الاوامر التالية :

١ ــ على قائد لواءي الـ ٢٢ و٢٠ ان يرسل كل منهما حامية معززة بالمدفعية المضادة للدبابات الى المنطقة الواقعة شرقي ستاريتسا لتغطية مشارف مدينة كالوغا •

٢ ــ على الفرقة ١٧٤ التي تحرس مشارف مــدينة رجيف حــاليا الانتقال الى ستاريتسا فورا •

٣ ــ على قائد اللواء ٢٢ ان يسحب الفرقة ٢٥٦ من الجبهةويرسلها مشيا الى كالينين لحماية المدينة من الجنوب •

٤ ــ على قائد حــامية كالينين ان يوزع فصائلــه على طول خط بورسكوفو ــ بوكروفسكوي •

ان مسألة الدفاع عن كالينين لا يضمنهــا الا ارسال فرقــة مشاة تساندها فرقة دبابات الا انه لا تستطيع اية جبهة في الحرب الاستغناء عن مثل هاتين الفرقتين •

وطلبت كذلك ارسال فرقة الى كالينين بالحال من احتياط القيــادة العليا • ان مشارف مدينة فولوكولامسك باتت مفتوحة للعدو ولمتستطع هذه الجبهة توفير المساعدة لهذا القطاع •

وفي اواسط تشرين الاول بــلغ تعــداد الالوية ١٦ و٥ و٤٣ و٤٩ المستجمعة ٩٠ الف جندي• ولم تكن هذه القواتمؤهلة للدفاعوالمواجهة المستمرة • ولذلك قررنا حشدها في القطاعات التالية : فولوكولامسك ، ايسترا ، موجيسك ، ملويادوسلافتش وبودولوك ــ كالوني حيث كانت محتشدة قوات نظامية من المدفعية والمدفعية المضادة للدبابات •

في ١٣ تشرين الاول اسندت حمــاية مشارف فولوكولامسك الى اللواء ١٦ بقيادة الجنرال روكوسوفسكي ومعاونيه لوباشيف ومالينين • وضم هذا اللواء قوات قطاع فولوكولامسك والوحــدات المستجمعــة حديثا • كما ضم اللواء الخامس بقيــادة الجنرال كوفوروف قــوات

موجيسك وفرقة يولوسوفن الـ ٣٢ والوحـدات الحديثة المستجمعة ٠ اما لواء ٤٣ بقيادة الفريق كولوبيف فقد ضم قوات قطاع ملويار وسلافتس واللواء ٤٩ بقيادة الجنرال زخاركن ضم قوات خط كالوغا ٠

يتمتع جميع هؤلاء القادة بالخبرة اللازمة والمؤهلات الموثوقة لقيادة القوات الموكولة اليهم للدفاع عن موسكو ٠ واود كذلك ان أذكر مقدرة الجنرال سوكولوفسكي رئيس اركان الجبهة كما اعجبت بنشاط قائـد كتائب الاستطلاع الميجر جنرال يسرتسيف وهو الان وزير للمواصلات٠

وقد نشطت قوات المؤخرة في اقامة الحواجز المضادة لدبابات العدو في حال تمكنها من اختراق الخطوط الامامية للجبهة ٠ وعززت القطاعات الرئيسية بقوات من الاحتيـاط ٠ ثم نقلنا مقر القيـادة من الاينو الى برخوشكوف بعد تأمين جميع وسائل الاتصـال الهاتفي واللاسلكي مع جميع الوحدات الارضية والجوية بحيث تأمنت سبل الامدادات والذخيرة والعقاقير ومختلف خدمـات المؤخرة ٠ جميع هذه التدابير كونت عضد الجبهة الغربية الموكول اليها رد هجمات الفاشيست الالمان عن العاصمة٠

راح الحزب الشيوعي يشرح للشعب خطورة الموقف والخطر المداهم للمدينة وللشعوب السوفياتية ٠ وكانت اللجنة المركزية للحزب قد وجهت نداء الى جميع المواطنين تحثهم فيها على نبذ اللامسؤولية والتحلي بالثقة والشجاعة والاشتراك الفعلي بالدفاع عن الوطن وصد العدو عن العاصمة٠ ان الوقت كان اعز ما نحتـاج اليه لرفع مستوى دفاعنا في ذلك الحين ٠ ان الالوية ١٦ و١٩ و٢٠ و٢٤ و٣٢ بالاضـافة الى مجموعة بولدن التي حاصرها العدو غربي فايزما قد دافعت ببطولة منقطعة النظير رغم انقطاع الامدادات عنها من ذخيرة ورجال ٠ وعرقلت خمسا من آليات العدو في

دعم زحفه الى موسكو • وكان العدو يشد الخناق على المحاصرين لارغامهم على الاستسلام • الا انهم صمدوا بواقع ما استطعناه في آونة متفاوتة من انزال الطعام وبعض الذخيرة لهم وقصف تمركزات العدو الضاغطة عليهم • لقد ابرقنا مرتين في ١٠ و١٢ تشرين الاول بواسطة شارات لاسلكية الى قيادات الالوية المحاصرة نفيدهم فيها عن تحركات العدو ومواقع ضغوطه وتمركزاته وطلبنا منهم اعلامنا عن القطاع الذي يرونه مناسبا لاختراقه والخروج من الحصار تحت امرة الجنرال لوكن قائد اللواء ١٩ كي نقوم بتغطية جوية لعمليات الاختراق هذه • الا ان في كل مرة لم نكن تتلقى اي جواب ففقدنا امل الاتصال بهم • ولم يستطع الخروج من هذا الحصار الا مجموعات قليلة من المتسللين • لقد عرقل عناد المحاصرين وصمودهم البطولي وحدات العدو الرئيسية فخفف علينا واغتنمنا الوقت لاكمال التجهيزات الدفاعية على خط موجيسك في ادق الظروف واحرجها علينا • ان التضحية التي قدمها المحاصرون كانت كبرى المساهمات في الدفاع عن العاصمة ستبقى حديث البلاد الى الابد •

في ١٣ تشرين الاول غادرت قواتنا قطاع كالوغا تحت ضغط العدو المتزايد ، وقد بلغ القتال اشده على جميع القطاعات ذلك اليوم حيث انزل العدو باتجاه موسكو آلياته السريعة المتحركة • وفي ١٥ تشرين الاول افادت استخبارات الجبهة ان العدو قذف الى المعركة ٥٠ دبابة في مدينة تورجينوفو و١٠٠ دبابة في مدينة لوتوشينو و١٠٠ دبابة في مدينتي مكرافو وكركانوفو و٥٠ دبابة في مدينة يوروفسك و٤٠ دبابة في يورودينو ، وبالنسبة الى الخطر المتزايد على العاصمة قررت لجنة الحزب المركزية مع لجنة الدفاع القومي اخلاء مؤسساتها ومؤسسات الدولة ، والسلك الدبلوماسي ونقلها مع مخزونات الدولة القيمة الى مدينة كويبششيف ، وبوشر الاخلاء فعلا في ١٥ و ١٦ تشرين الاول ، وقد استقبل السكان

بصورة عامة هذه الاجراءات بتفهم تام ٠الا انه ، كما يقول المثل الروسي كل عائلـة فيها نعجة سوداء ، وكما يحدث في كل مكـان في مثل هذه الحالات ، قام الانانيون والمغرضون والاستفزازيون بنشر اشاعات البلبلة والفـوضى والتخريب والاستسلام المحتم فهرب الجبنـاء والانهزاميون والانتهازيون وعناصر الشغب وتبعهم المتأثرون بهذه الاشاعات ٠ وفي ١٩ تشرين الاول سارعت لجنة الدفـاع القومي الى اعلان المدينة في حـالة الحصار لمنع تكرار ما حدث وانهاء حالة الفوضى لكي يتسنى لها تعبئة المواطنين للدفاع المشترك ٠

قرر مجلس الجبهـة العسكري بناء خط دفـاع جديد يمتد من نوفوزافيدوفسكي مرورا بمدن كلين وايسترا وجافورونكي وكراتسنايا ـ باخراوسربوخوف الى مدينة الكسن بعد ان تمكن العدو من اختراق خط الدفـاع الضعيف الممتـد من فولوكولامسك الى موجيسـك وملوياروسلافتس وسربوخوف ٠ وأود أن اورد بالتفصيل خطة انسحاب معسكر الجبهـة الغربية من خط موجيسك لما لهـذا القرار من اهمية ٠ الخطة وافق عليها ستالين في ١٩ تشرين الاول وتضمنت البنود التالية :

١ ــ في حالة سقوط خط موجيسك ينبغي على معسكر الجبهة الانسحاب مع مدفعيته الى خط الدفـاع الجديد الممتد من نوفوزافيدروفسكي واستمرار حرس المؤخرة بالمقاومة، وتأمين عملية الانسحاب هذه بالتغطية الجوية الممكنة ٠

٢ ــ في اثناء تمركز القاوت المنسحبة على خط الدفـاع الجديد يجب على حرس المؤخرة ان يشن هجمات على العدو بمساندة سلاح المدفعية المضادة للدبابات والقوات المتحركة لعرقلـة

تقدم العدو قدر المستطاع على طول الخط الوسطي الممتد من كوزلوفو عبر كولوكوزوفو ويلكوزينو ونوفوتيروفسكوي وكوليوباكوفو وناروفومنسك وناروشينو وشريناكرياز حتى نهر اليروتغا .

٣ ــ على الجيوش هذه ان تنسحب ضمن الحدود الحالية المرسومة لها ما عدا قوات اللواءين ١٦ و٥ فالحد الجديد بينهما سيكون من زاكورسك وايكشاديوفاروفو حتى ناردخانوفو وتقع جميعها في قطاع اللواء ١٦ .

٤ ــ على قوات دعم المؤخرة الانسحاب شرقا ضمن حدودها ما عدا قوات المؤخرة التابعة للواءين ٥ و٣٣ فعليها ان لا تعبر موسكو او شبكة مواصلاتها بحيث تواصل قوات المؤخرة التابعة للواء ٥ سيرها شمالي خيمكي وميشيشي وتلك التابعة للواء ٣٣ جنوبي بريدلكينو وليوبرتسي ، كما تمنع جميع عربات الخيل من استعمال شوارع موسكو او شبكة مواصلاتها. يجب مراقبة السير مراقبة فعالة وتخطيط اعدادي لتأمين مسالك مفتوحة لمرور كتائب اللواءين ٥ و٣٣ دون عرقلة. يجب سحب قوات المؤخرة المستغنى عنها بصورة معجلة.

٥ ــ في حال فشل اللواء الخامس في الصمود على الخط الرئيسي الممتد من ايسترا وبافلوفسكايا ــ سلوبودا الى جافورونكي، عليه ان ينسحب الى الحلقة المحصنة حول موسكو بل الى الشمال الشرقي من خيسمكي ويواصل جناحه الايسر مسيره الى حيث ترابط وحدات اللواء ٣٣ جندي مدينتي بريدلكينو

وليوبرتسي بحيث يتم دمجها باحتياط اللواء الخامس دون ان تسر بمناطق موسكو المحصنة الى الجنوب الشرقي في قطاع بوشكينو ٠

٦ ـ ينبغي على اللــواء ٥ ان يتمركز على محطـة سكة حديد يوشكينو واللواء ٣٣ في قطاع رامنسكوي ٠ اما الالوية ١٦ و٤٣ و٤٩ فيجب ان ترابط على محطات التموين في اطـار حدودها ٠

٧ ـ ولضمان هذا الانسحــاب ترابط قوة من السلاح المضــاد للدبابات على مفارق الطرق في تونويتروفسكوي وكيوبتكـا وناروفومنسك وفوروويني لمنـع دبابات العدو من اختــراق المؤخرة ٠ وقبل البدء بعملية الانسحاب ترابط بعض وحدات المشاة والمدفعية وفصائل الاستطلاع على القطاعات الرئيسية من خط الدفاع الجديد ٠ وفي قطاع اللواء ١٦ ترابط فرقــة الرماة الـ ١٢٦ على الخط بين كليسن وترويتسكوي ٠ اما في قطاع اللواء الخامس فترابط الفرقــة ١١٠ او ١١٣ على الخط بين دفيدكوفو وكراسنايا بافرا ٠ وفي قطاع اللواء ٤٣ تتمركز الفرقة ٥٣ غربي مدينتي يودولسك ولوباستيا ٠

٨ ـ وفي اثناء الانسحاب تبقى قيادة الجبهة الغربية على اتصــال دائم بقطاعات جيوشها بواسطة مركز المواصلات في مفوضية الدفاع ـ الشعبي في موسكو بالاضافة الى مركز اخر يقــام

اما في منطقة اوريخنوفو ــ زويافو واما في منطقة ليكينو ــ ديولافو ٠

جوكوف : قائد الجبهة الغربية

بولغانين : عضو مجلس الجبهة العسكري

سوكولوفسكي : رئيس أركان الجبهة

١٩ تشرين الاول ١٩٤١

ابلغت هذه الخطة سرية تامة الى قادة القطاعات للعمل والتنسيق بموجبها ٠ وبالرغم من ان الانسحاب من خط موجيسك قد وافقت عليه القيادة العليا لم ينسحب بعض من قوات الجبهة الا بعد قتال مرير لعرقلة العدو قدر المستطاع وكسب الوقت لتعزيز خط الدفاع في المؤخرة بخبرات من احتياط القيادة العليا ٠

وجه المجلس العسكري الى رفاق السلاح في الجبهة النداء التالي :

ايها الرفاق ! في هذه الساعة العصيبة من الخطر الجاثم على صدر البلاد ومصيرها ، فان حياة كل منكم هي ملك للوطن ٠ البلاد تطلب من كل منكم اقصى جهده وشجاعته وبطولته وصموده ٠ البلاد تستصرخنا جميعا للوقوف كتلة واحدة في وجه قطعان الفاشيست ومنعهم من الوصول الى موسكو الحبيبة مهما كانت التضحيات ٠ ان ما نحتاج اليه اليوم بالذات هو اليقظة والنباهة واحترام النظام والتنظيم الذاتي والتصميم المطلق والتضحية والارادة الفولاذية والثقة بالنصر المحتم المبين ٠

ليس من الضروري ان اورد في هذا المجال اخبار العمليات العسكرية فقد فاض عنها الحديث في مختلف الكتب والمناسبات الزمنية ٠ وفي خلال

شهر من الحرب الضروس استطاعت القوات الالمانية ان تتقدم مسافة ١٦٠ ميلا فقط وخطة هتلر لاحتلال موسكو قد منيت بالفشل باعتبار ان قواته قد انهكت في نهاية تشرين الاول وتوقفت عند الخط الممتد من ترجينوفو وتولوكولامسك ودرخوفو الى ناروفومنسك غربي قطاع سريوخوف وألكسن لان قوات الصاعقة كانت قد توزعت على امتدادات طويلة أبطلت مفعول هذه القوات في فتح الثغرات التي كانت تسهل عمليات التطويق والمحاصرة •

وفي هذه الفترة عاد الاستقرار الى موقف جبهة كالينين بعد ان خف عليها الضغط ودمجت القيادة العليا الالوية الثلاثة التابعة للجبهة الغربية الواسعة الامتداد بألوية جبهة كالينين في ١٧ تشرين الاول بقيادة كونيف وعضوية المفوض العسكري ليونوف والزعيم الركن ايفانوف رئيسا للاركان • واستطاعت كذلك جبهة يراينسك بعد انسحابها الى خط الدفاع الممتد من الكسن وكيوك ويفريموف الى شيسم ان توقف زحف العدو الى نيوك باتجاه تليتس وفورونيج عشية تثاؤب الضغط الالماني على معظم القطاعات• لقد اظهرت فرقة المدرعات بقيادة كاتوكوف بسالة منقطعة النظير خلال تشرين الاول في زخم عملياتها ضد العدو في قطاعات اوريل ومتسنسك وفولوكولامسك حيث كبدته خسائر فادحة في آلياته • وقد نالت هذه الفرق شرف تسميتها بفرقة حرس الدبابات الاولى ونال قائدها وسام لينين ورفعت رتبته الى زعيم ركن القوات المدرعة •

كانت فرقة المشاة بقيادة الزعيم بولوسوفن واحدة من افضل وحدات قطاع موجيسك ، وبعد مرور ١٣٠ عاما على حملة نابليون قامت هذه الفرقة مرة اخرى بمقارعة العدو على ارض مدينة يوردوينو بضراوة وبسالة منقطعتي النظير • واصبحت ارض هذه المدينة معركة الوطن

المقدسة ورمزا خالدا لمجد روسيا العسكري • لقد حافظت هذه الفرقة على هذا المجد بل زادت في اشراقه •

وعلى مشارف مدينـة ملوياروسلافتس صمدت فرقـة الرماة ٣١٢ صمودا مشهودا بمساندة كتائب من مشاة بودولوسك ومدفعية معاهـد التدريب العسكري على الدبابات • يماثل هذا صمود اخر لفرقةالمدرعات بقيادة تردينسكي في قطاع مدين • وقد اضفت فرقتا الرماة ١١٠ و١٥١ المجد على مهما في الصمود العنيد على مشارف مدينة بوروسك الاثرية• كما سجل حماة مدينة تيولا ماثر تاريخية في تلك الايـام العصيبة ، ومع الاسف لم تسجل حتى الان تواريخ الحرب في الاتحاد السوفياتي ماثرهذا الدفاع المشهود • ورغم هذا ارى ان من الصعب ان ابالغ في الدور الذي لعبه دفاع تيولا في سبيل معركة موسكو • قام بالدفاع عن تيولا فصائل من العمال ووحدات اللواء الخاص التي كانت قد انسحبت الى تيولا لهذه الغاية• وقد اظهرت كتائب عمال تيولا بقيادة كورشوف والمفوض السياسي آجييف صمودا وشجاعة نادرين • وقد استطاعوا منع العدو من دخول المدينة ولكن على جماجم اعداد كبيرة منهم • ولم يفقد هؤلاء العمـال اعصابهم رغم شد العدو الخناق على مدينتهم • وقد قاتلوا حتى النهـاية مع كتائب اللواء الخامس ونجحوا في صمودهم البطولي •

حتى العاشر من تشرين الثاني كـانت تيولا قسما من قطاع جبهـه براينسك ، وكانت تزحف اليها القوات الالمانية بعد احتلالها اوريل ، لم يكن في تيولا من يحميها الا قوات المؤخرة التابعة للواء الخامس يتراوح عددها بين ٥٠٠ و١٥٠٠ تساندها كتيبة مدفعية من اربعة مدافع فقط لو لم تنتقل اليها بعض فرق الرماة في النصف الثاني من تشرين الاول • وقد انهكت جميعا ووقعت في نقص بالعتاد لم يكن متوفرا في عنابر المؤخرة•

وقد امضى نيولا بقيادة منظمات الحزب في المدينة ليلهم ونهارهم في خياطة ملابس المحاربين واصلاح سلاحهم والسهر على هذه الوحدات الى مستوى القتال • واستطاعت لجنة الدفاع في نيولا بقيادة امين سر الحزب الاقليمي السيد جافورونكوف اعداد كتيبة من ٦٠٠ عامل في وقت قصير اخذت على عاتقها مع وحدات من اللواء الخامس حماية مشارف المدينة وصيانة التنظيم الداخلي فيها • ومن عزمه على الدفاع بشتى الوسائل قام الجنرال بويوف قائد قطاع المدينة باستخدام المدفعية المضادة للطائرات ضد الدبابات •

وفي ٣٠ تشرين الاول صدت نيولا هجوما عنيفا شنه فرقة مصفحات كودارين الالمانية بقصد اكتساح المدينة كما اكتسحت اوريل قبلا والوصول الى منافذ موسكو من الجنوب • الا ان وحدات قطاع نيولا بما فيها كتائب العمال المحليين اظهروا بسالة فائقة في هجومهم المكشوف على مصفحات العدو ودباباته واضرام النار فيها بالقنابل اليدوية وقارورات البنزين • وبعد ان نقلنا اللواء الخامس الى الجبهة الغربية ، مددنا جبهة نيولا بما توفر لدينا من احتياط وسلاح •

بالرغم من محاولات العدو المتكررة للاستيلاء على نيولا لفتح الطريق الى موسكو من الجنوب فقد باءت محاولاته هذه بالفشل خلال تشرين الثاني لان نيولا كانت قد عرقلت الجناح الايمن لقواته • واخيرا قرر العدو تطويق نيولا واضطرت مجموعة كوديرين المدرعة الى تجزئة قواتها ففقدت فعاليتها في استخدام عنصر الانقضاض السريع وفتح الثغرات • ولهذا لعبت نيولا ومواطنوها دورا بارزا في الدفاع عن موسكو ، وعليه لن اكون مخطئا اذا قلت ان المجد الذي نسب الى موسكو كمدينة بطلة ينسب كذلك الى تيولا ومواطنيها •

عندما اتكلم عن مآثر البطولة اضع في ذهني جليا جنودنا وقادتنا وساستنا لان ما حققناه في الجبهة خلال تشرين الاول وما تلاه كان بفضل الجيش السوفياتي وتضامن الشعب السوفياتي في طول البلاد وعرضها ٠

ان النشاط الحزبي الواسع الذي قامت به موسكو في استقطاب الشعب من عمال وكادحين في الدفاع عن موسكو كان تحلقا بطوليا في حد ذاته ٠ ان النداءات النارية التي كانت توجهها لجنة الحزب المركزية بالعمل مع منظمات الحزب الاقليمية في موسكو وخارجها قد ايقظت روح التجاوب والتضحية في نفوس الاهلين والجيش عبر الوطن الكبير ٠ وقد نذر عمال موسكو وكادحوها ان يقاتلوا العدو الى جانب جنودهم حتى النفس الاخير وقد وفوا بشرف هذا النذر ٠

وخلال شهري تشرين الاول وتشرين الثاني قام عمال موسكو باعداد خمس فرق من المتطوعين وارسالها الى الجبهات بعد تدريبها ٠ وساهم هؤلاء العمال باعداد ١٧ فرقة منذ بدء الحرب ٠ وبالاضافة الى فرق المقاومة الشعبية هذه شكل الموسكوبيون مئات من فصائل القتال وتدمير الدبابات وسلحوهم ٠ وفي ١٣ تشرين الاول نشط افراد الحزب لتشكيل فرق مقاتلة من العمال في كل حي من العاصمة وتمكنوا خلال بضعة ايام من تشكيل ٢٥ فرقة تضم ١٢ الف متطوع معظمهم اعضاء في الحزب ومن رابطة الشباب الشيوعيين ٠ وقد التحق بمراكز التدريب العسكري ما ينوف عنماية الف عامل انضموا فيما بعد الى الوحدات العسكرية للاشتراك الفعلي في القتال ضد العدو ٠ وتتطوع كذلك حوالي ١٧ الف امرأة وفتاة للتدرب على اعمال التمريض والخدمات الطبية والاسعاف الاولي كانت المهارات العسكرية امرا جديدا على العمال العاديين والمهندسين

والتقنيين والفنانين ومختلف الموظفين قبل الحرب ، الا ان استعدادهم للافادة والاكتساب جعلهم يتعلمون وهم في قلب المعركة. وكونهم يتمتعون بخصال الوطنية والتصميم والثقة بالنصر النهائي فقد برزوا في القتال كغيرهم من الوحدات الاخرى . وكانت لدى بعض الموسكويين منهم خبرة في الاستكشاف والتزلج فبرزوا في حرب العصابات ضد العدو .

ونحن لن ننسى مساهمة سكان موسكو الجماعية ، ومعظمهم من النساء ، في بناء التحصينات ووسائل الدفاع الاخرى على مشارف العاصمة ومسالكها .

لقد ردد الكثير بعد الحرب عما قاله جنرالات هتلر ومؤرجو بلاده عن صعوبة المسالك في الاتحاد السوفياتي بسبب الاوحال الكثيفة التي تعرقل المشاة والاليات على السواء ناهيك عن الجليد والبرد واتساع الجبهات . واشير هنا الى ما اورده كرت تيلسكرش في تاريخه « الحرب العالمية الثانية » اذ قال : اصبح التحرك على الطرقات مستحيلا بسبب الاوحال الكثيفة فوقف المشاة من جنود وجياد وتوقفت محركات الاليات .. فتوقف الهجوم .

اتساءل هل اعتقد جنرالات هتلر ان يزحفوا الى موسكو على طرقات منبسطة معبدة لهذه الغاية ؟ فان كان هذا اعتقادهم فمساكين هم الالمان في اعتقاداتهم ومفاهيمهم عن الاتحاد السوفياتي . ان من اوقف الزحف ورد الفاشيست على اعقابهم هم السوفيات جيشا وشعبا . خرج فتيان وفتيات موسكو وغيرها من سائر مدن الجمهوريات الى الشوارع والطرقات يقيمون هنا وهناك التحصينات والحفر والسدود وسط الاوحال والجليد والبرد التي شكت منها قوات هتلر . هذا ليس بالامر العسير عند الرجال ولكن ليس بالامر السهل عند الحسان وربات البيوت . وبالرغم من هذا

فقد عملن المستحيل وحققن المعجزات في الاوحال بالذات التي اوقفت اليات هتلر كما يحاول ان يفلسف كرت تبلسكرش انهزام قطعان الفاشيست على يد الشعب السوفياتي • في تشرين الاول قد تكون الطرقات الى موسكو صعبة العبور الا انها تكون سالكة على احسن ما يكون خلال شهر تشرين الثاني حيث تهبط درجة الحرارة الى ١٤ درجة فهرنهايت وفي هذه الحالة ينعدم وجود الوحل • والهجوم الالماني العنيف المركز العام شن في اواسط هذا الشهر وفي الظروف الملائمة بالذات • اوردت هذا لمجرد تبيان الحقيقة وفضح محاولات المغرضين لطمس الحقائق •

وفي ٢٥ تشرين الثاني في الجليد والبرد عمل الموسكوييون ومعظمهم من النساء على بناء ١٤٢٨ منصة للمدفعية وحفرماية ميل من الخنادق المضادة للدبابات ونصب ٧٥ ميلا من الاسلاك الشائكة على ثلاثة صفوف متراصة وعدد كبير اخر من وسائل الدفاع المختلفة • مساهمة هؤلاء بالاضافة الى التضحية الذاتية عند العمال والكادحين في الدفاع عن عاصمتهم قد خلقت جميعا الثقة في نفوس جيوشنا والتصميم المطلق على النصر في النهاية •

كنا تتسلم تقارير يومية عن نشاط الموسكويين في مصانع ومعامل المدينة لانتاج السلاح والذخيرة للجبهة • وقد شمل الانتاج الدفاعي هذا جميع مرافق المدينة لا في المعامل الكبرى فحسب بل في كل حانوت ومتجر وتعاونية • ونذكر باعتزاز كذلك حرس المنازل في العاصمة من الغارات الجوية ليلا نهارا • مئات من النساء والفتيات تطوعن للخدمات الطبية والتمريض والاسعاف الاولي فأحطن الجنود الحرس بالمحبة والعناية والسهر الدائب • وقد تسلمت الجبهة طيلة المعركةماينوف عن ٤٥٠ الف رسالة موجهة الى الجنود القادة معا كما تسلموا ما يربو على ٧٠٠

الف قطعة ملابس من مختلف مناطق البلاد • اما جمهورية منغوليا الشعبية الشقيقة فقد ارسلت الى الجبهة وفدا برئاسة الماريشال شوبلسن • وقد بقيت مقدمة الجبهة ومؤخرتها وحدة ملتحمة متراصة بفضل مساعي الحزب الشيوعي وتوجيهاته ونشاطاته مما كون عاملا رئيسيا للنصر في موسكو • على كل حال كان لا يزال امامنا صعوبات جمة اخرى للاجتياز • وبالرغم من فشل هجوم العدو في تشرين الاول ، فقد ظل الموقف في الجبهة بالغ الخطورة • وبقيت روح القتال ناشطة في الجيش السوفياتي وظلت ثقته بالنصر ثابتة لا تتزعزع •

- ٣ -

مخاطر تشرين الثاني

في الاول من تشرين الثاني عام ١٩٤١ استدعاني ستالين الى مقر القيادة العليا وسألني عن رأيي في العرض العسكري بمناسبة الاحتفالات بعيد الثورة في هذا الظرف في العاصمة • فأجبته ان العدو حاليا لا تتوفر لديه امكانات القيام بهجوم كبير اذ انه يقوم الان باستجماع قواه بعد الخسارة الفادحة التي مني بها في الشهر الماضي ، وعليه لا يستطيع ان يشن هجوما قبل بضعة ايام الا ان نشاط سلاحه الجوي قد يستمر •

اقيم العرض العسكري التقليدي في المدينة بعد ان استدعيت قوات اضافية لتعزيز الحماية الجوية ضد الاحتمالات فمر الوقت بسلام • مرت قوات العرض امام منصة لينين وتابعت مباشرة الى الجبهة • فكان لهذا العرض دون ريب مغزى سياسي هام في الداخل والخارج •

وقد اتخذت القيادة العليا جميع الاجراءات الممكنة خشية ان يفاجئها العدو بهجوم اشد واعنف هذه المرة • حتى الخامس عشر من هذا الشهر كانت لا تزال قوات الجبهة الغربية تستعد للمعركة بمختلف الوسائل وعلى جميع المستويات • وفي صبيحة العاشر منه نقلت القيادة العامة

اللواء ٥٠ من قطاع نسيولا الى الجبهة الغربية بالاضافة الى الوية جبهة براينسل ، ففرضت علينا هذه التنقيلات توسيع مدى الجبهة الغربية باتجاه الجنوب الغربي في حين كانت قوات تيولا المنقولة في حالة غير مرضية ، الا ان القيادة العليا اغدقت علينا التعزيزات مـن الاحتياط المتوفر لديهـا والامدادات من سلاح وذخيرة وتموينات مختلفة من ملابس واحذية وفرو • وفي منتصف الشهر ذاته كانت قواتنا قد تزودت بما تحتاج اليه من خدمات شتوية • اما الالمان فقد تنعموا بما صادروه من موجودات سكان المناطق المحتلة • هذا وقد دلت التقارير المتوفرة لدينا على ان العدو ناشط فـي جمع قواه وبات الهجوم متوقعا اية لحظة •

تمركز مشاة الاحتياط ووحدات دباباته في قطاعات فولوكولامسك وكلينه وابسترا المعرضة لهجوم اليات العدو • وقد انضم الى اللواء ١٦ في قطاع فولوكولامسك ــ ابسترا فرق الخيالة ١٧ و١٨ و٢٠ و٢٤ و٤٤ • ونقلت قوات اضافية اخرى الى تيولا وسريوخوف حيث كان متوقعا ان يشن العدو هجوما بمساندة لوائه الدبابات الثاني • وفي ٩ تشرين الثاني عززنا الجناح الايسر لجبهتنا بفصائـل خيالة الجنرال بيلوف وبفرقة الرماة ٤١٥ وفرقة الدبابات ١١٢ وكتيبة المدرعات ٣٣ • ورغم التعزيزات الكبيرة التي أمدت بها الجبهة الغربية ظلت قوات العمق في الوسط متقدمة العدد نظرا لامتداد الجبهة الى ما ينيف عـن ٣٧٥ ميلا • ولهذا اعتمدنا تعزيـز الحماية في القطاعات المعرضة على جناحي الجبهـة واحتفظنا بقسم مـن قوات الاحتياط للمناورات عند الحاجة • وفي ١٣ تشرين الثاني وبناء على امر من القائد الاعلى ادخلت تعديلات جذريـة على مخططاتنا ، حدثنـي ستالين هاتفيـا يسألني عن رأيي فيما يخطط العدو فأجبته انه ناشط في اكمال تجهيزات قواتـه الصاعقة تحضيرا لهجوم قريب • سألني : ايـن

سيبدأ العدو ؟ قلت : في فولوكولامسك ونوفويزوفسكوي باتجاه كلين وابسترا • وقوات غودارين الصاعقة ستحاول المرور قرب تيولا باتجاه فينيف وكشيرا • قال ستالين : انا وشايوشنيكوف نرغب في قيامنا بهجوم وقائي مضاد لهجوم العدو • هجوم يبدأ شمالي قطاع فولوكولامسك واخر يشن من سريوخوف ضد جناح لواء العدو الرابع • يبدو ان العدو يحشد قوات هجوم على هذين القطاعين • سألته : وما هي القوات المفروض استخدامها في هذين الهجومين ؟ قال : في قطاع فولوكولامسك استخدم الجناح الايسن لوحدات روكوفسكي وفرقة الدبابات ٥٨ وبعضا من فرق الخيالة • وفي قطاع سريوخوف استخدم خيالة بيلوف ودافوتور وفرقة دبابات غتمان وبعض اقسام اللواء ٤٠ • اجبته : لا نستطيع هذا • لا نستطيع ان تقذف باخر احتياطنا في الجبهة في هجمات غامضة النتائج لن يكون لدينا بعد ذلك الاحتياط اللازم عندما تبدأ قوات الصاعقة هجومها • قال : لديك ٦ الوية وليس هذا بالقليل ! فأجبته ان طول خط دفاع الجبهة يربو على ٣٧٥ ميلا وان قوات العمق في الوسط ليست على المستوى الصحيح من حيث العدد • قال : فكر بامر الهجمات المقررة ودعني اعلم ما تنويه مساء غد •

أصررت على انه من الخطأ ان تستخدم احتياطنا الوحيد في هجمات كهذه وذكرت له كذلك طبيعة المشاهات المكشوفة شمالي قطاع فولوكولامسك • الا انه كان قد اقفل السماعة آنذاك •

تركت هذه المكالمة تأثيرا بالغا في نفسي لا لان ستالين لم يعر رأيي اهتمامه بل لان موسكو التي نذر الجميع حياتهم للدفاع عنها باتت في خطر مميت بعد ان تلقينا اوامرا بقذف اخر احتياطنا المعتمد الى هجمات غير مضمونة النجاح • وفي غياب هذا الاحتياط لن نستطيع ضمان القطاعات

المعرضة للخطر في خطوط دفاعنا • وبعد ١٥ دقيقة دخل علي بولغانين وكان متأثرا للغاية • فسألته ما الخبر ؟ فأجاب : ان ستاليـــن كلمه قائلا : انت وجوكوف تعتدان بنفسيكما وسأعرف كيف اعالجكما معا وامرنا بالشروع فورا بعمليات الهجوم المقترح •فقلت : انه والحالةهذه يجب علينا استدعاء لوكولوفسكي رئيس الاركـــان وابـــلاغ روكوفسكي وزفارين قائدي اللواءين ١٦ و٤٩ • وبعد ساعتين اصدرت القيادة اوامرها الى قادة القطاعات بالهجومين المقترحين وابلغنا هذه الاجراءات الى القيادة العليا • لم تكـــن هذه الهجمات ويساندها الخيالة بصورة رئيسية ملموسة النتائج لكونهـــا اضعف من مستوى قوات العدو الصاعقة • فتكبدت قواتنا هذه خسائر مرة لانها لم تكن في اللحظة الحاسمة حيث كانت الحاجة اليها ماسة • دحـــر العدو قواتنا المهاجمة في ١٣ تشرين الاول وقام بهجومه المنتظر بعد يومين ضاربا نقاط الالتحام والالتقاء بيـــن كالينين والجبهتين الغربية والغربيـــة الجنوبية • وكذلك لم يحقق هجومنا في قطاع سريوخوف اهدافه بفضل ما جهز العدو له من تعزيزات لدحره • الا انـــه عندما بدأت قوات الصاعقة بمغادرة تيولا الى كشيرا مهددة هذا القطاع بالاجتياح ، لقينا صعوبة فائقة في سحب فرق الدبابات والخيالة من المعركـــة ونقلها الى قطاع كشيرا •

وفي هجومها الثاني على موسكو في ١٥ تشرين الثاني استقدمت القيادة الالمانية قوات جديدة الى المعركـــة وواجهت جبهتنا الغربية بـ ٥١ فرقـــة منها ٣١ فرقـــة مشاة و١٣ فرقـــة دبابات و٧ فرق آليـــة مجهزة بما تحتاج اليه من جنود ودبابات ومدفعيـــة ومعدات اخرى جديدة •

وفي قطاعي فولوكولامسك ــ كلين وايسترا حشد العدو قواتـــه المؤلفة من ٧ فرق دبابات و٣ فرق آلية و٣ فرق مشاة يساندها اسطـــول جوي ضخم • اما في قطاع تيولا ــ كشيرا فتألفت قوات الصاعقـــة من ٤ فرق دبابات و٣ فرق الية و٥ فرق مشاة وكتيبة آلية اخرى ذات سرعة فائقة

في التحرك والمناورات وعمليات الانقضاض والانسحاب • وواجه اللــواء الالماني الرابع ، ويضم ١٨ فرقــة مشاة وفرقتي دبابات وفرقة آلية وفرقــة امن مهمتهــا ضبط العمليات الحربية ، قواتنــا في القطاعات زفتيغورود ، كيوبتنكا ، ناروفومنسك ، يودولسك وسربوخوف بقصد الهاء قواتنا على خطوط الدفاع في الجبهة الغربية وانهاكها ثم الانقضاض فجـأة على عصب الجبهة في الوسط ليدحرنا ويتابع زحفه الى موسكو •

عملا بالخطة المرموز اليها بكلمة « الاعصار » بدأ العدو هجومه الثاني في ١٥ تشرين الثاني على جناح اللواء ٣٠ الايمن في قطاع كالينين الضعيف نسبيا جنوبي بحر موسكو (خزان سد الفولكا) • وفي الوقت نفســه هاجم العدو قوات الجبهة الغربية في القطاع الواقع جنوبي نهر شوشا ضد الجناح الايمن للواء ١٦ • وقد شن هجوما اخر على هذا اللواء قرب ترياباغا ـ سلويودا •

أضطرت قوات اللواء ٣٠ الى التراجع بعد ان شن العدو هجوما من ٣٠٠ دبابة ثقيلة على الفرقة ٥٦ من الدبابات الخفيفة التابعــة للوائنا هــذا وفي صبيحة ١٦ تشرين الثاني تابع العدو هجومه باتجاه كلين • ولم يكن لدينا احتياط في هذا القطاع لان القيادة العليــا بزعامة ستالين كانت قد امرت باستخدام هذا الاحتياط في الهجــوم المضاد حيث كانت لا تــزال محاصرة في قطاع فولوكولامسك ، وفي اليوم نفسه قام العدو بهجــوم مركز على هذا القطاع حيث زحفت فرقتا دبابات وفرقة مشاة للعدو باتجاه قطاع ايسترا • وكانت مَن بين القوات السوفياتية التي برزت في هــذه المعركة فرق الرماة ٣١٦ و ٧٨ و١٨ وفرقة الحرس الاولى وفرق الدبابات المستقلة ٢٣ و٢٧ و٢٨ وفرق الخيالة بقيادة الميجر جنرال دوفاتور • وفــي زحفه باتجاه قطاع ايسترا استخدم العدو اكثر من ٤٠٠ دبابة متوسطة مقابل ١٥٠ دبابة طفيفة تابعة لقواتنا •

في اصيل ١٧ تشرين الثاني امرت القيادة العليا بنقل اللواء ٣٠ من قطاع كالينين الجبهة الغربية محازا وفي امتداد خطوطها الدفاعية حتى بحر موسكو بعد ان قالت قائدة الميجر جنرال خومنكو ونصبت محله الجنرال ليليوشتنكو .

ان المعركة التي دارت رحاها بين ١٦ و١٨ تشرين الثاني كانت تجربة قاسية بالنسبة لنا . تابع العدو زحفه صارفا النظر عن خسائره الفادحة في محاولة يائسة لشق طريقه الى موسكو باكياته الضخمة ، الا ان قوات العمق (خطوط الدفاع المزاحة) أفشلت مخططه بفضل تمركزها وتنسيق عملياتها الحربية . تراكمت جثث قتلى العدو في ارض المعركة ولم من مواقعه الحالية الى مواقع معدة له سابقا حيث رابطت وحداته لصد هجمات العدو الضارية ومواصلة تكبيده خسائر بالغة .

وفي هذه الاثناء كانت لجنة الدفاع القومي ولجنة الحزب المركزية والمنظمات المتفرعة عنها ومجلس ممثلي الشعب (الحكومة) تتابع نشاطاتها في موسكو . وكان عمال العاصمة يعملون بين ١٢ و ١٨ ساعة في اليوم لتموين الجبهة بما تحتاج اليه . بعد ان تمكن العدو من اختراق خطوط الدفاع في جبهة كالينيا متغلبا على اللواءين ٣٠ و١٦ في ١٩ تشرين الثاني على الارجح ، خابرني ستالين هاتفيا وسألني عما اذا كنت متيقنا من قدرة قواتنا على حماية موسكو بعد ان استحلفني بالحزب كوني عضوا فيه وبشرفي العسكري . فأجبته بالتأكيد اننا نستطيع حماية موسكو شرط ان يتوفر لدينا لواءان اخران من الاحتياط ومايتا دبابة . قال ستالين : انا مسرور من يقينك هذا وعليك ان تستدعي شايوشنيكوف وتبلغه اين تريد ارسال لواءي الاحتياط هذين ووعدني بتجهيزهما قبل نهاية هذا الشهر الا ان الدبابات المطلوبة لم تكن متوفرة في الوقت الحاضر . وفي غضون

نصف ساعة كنت قد اجتمعت بالماريشال شايوشبكوف وطلبت منه حشد قوات الصدام هذه المنوي تجهيزها في منطقة يخروما واللواء العاشر حول منطقة ريازان • وفي هذه الاثناء كان العدو قد بدأ هجومه في ١٨ تشرين ثاني باتجاه خط موسكو ــ تيولا وتوغلت فرق دباباته الـ ٣ و٤ و١٧ في قطاع فتيف حيث تمركزت قوا تلوائنا الـ ٥٠ المؤلفة من فرقتي الرماة ٤١٣ و٢٩٩ •

تمكن العدو من اختراق خطوط الدفاع الامامية واستولى على منطقتي بولوفوقو وداديلوفو ، ولمجابهة هذا التقدم السريع نقلنا فرقة الرماة ٢٣٩ واتبعناها بفرقة الخيالة ٤١ الى منطقة اوزلوفايا • نشب قتال مرير بين القوتين وتميزت قواتنا بالصمود البطولي وبرزت في المعركة بصورة خاصة وحدات المشاة ٤١٣ • وفي ٢١ ت ٢ تمكنت قوات غودارني الصاعقة بمساندة الدبابات من الاستيلاء على اوزلوفايا وستالينو غورسك•وتقدمت كذلك فرقة العدو الآلية ٤٧ باتجاه ميخالوف وبات الوضع خطيرا حول قطاع تيولا • وعليه قرر المجلس العسكري للجبهة الغربية تعزيز قطاع كشيرا بفرقة الدبابات ١١٢ بقيادة الزعيم غثمان وقطاع ريازان بكتيبة دبابات ووحدات اخرى وقطاع زرايسكو بكتيبة الدبابات ٩ وفرق الدبابات المستقلة ٣٥ و ١٢٧ وقطاع لبتيفو بكتيبة الرماة ٥١٠ ومجموعة اخرى من الدبابات •

وفي ٢٣ ت ٢ شبت معركة حامية الوطيس حول قطاع قنييف • وبعد يومين غادرت فرقة الدبابات ١٧ الالمانية قطاع فينيق وتقدمت من مدينة كشيرا حيث كانت ترابط فرق حرس الخيالة الاولى بقيادة الجنرال بيلوف بعد نقلها من قطاع سربوخوف • في ٢٦ ت ٢ اجتازت فرقة الدبابات ٣ الالمانية خط سكة الحديد والطريق العام شمالي شيولا باتجاه موسكو •

وفي اليوم ذاته قامت قوات الخيالة هذه تساندها فرقة الدبابات ١١٢ بصد هجمات العدو فتراجع جنوبا باتجاه موروقيس ، ولدعم قوات الخيالة في تقدمها قرر المجلس العسكري ارسال فرقة الرماة ١٧٣ وكتيبة حرس مدافع الهاون ١٥ الى قطاع كشيرا •

وفي ٢٧ ت ٢ قامت فرقة حرس الخيالة الاولى بالاشتراك مع فرقـة الدبابات ١١٢ وكتيبة الدبابات ٩ وفرقة الرمـاة ١٧٣ ووحدات اخـرى بشن هجوم مضاد على فرقة دبابات العدو ١٧ فتراجعت جنوبا مدى عشرة اميال • استمر القتال العنيف في قطاع كشيرا ــ موردقيس حتى ٣٠ ت ٢ وتكبد العدو خسائر فادحة ولم يستطع احراز اي نصر • قرر غودارين قائد لواء الدبابات الثقيلة الثاني ان يتخذ مواقع دفاعية فقط بعد ان تيقن مـن عدم قدرة قواته على اختراق خطوط الدفاع السوفياتية المتراصة وكسر شوكة مقاومة الجنود الروس الفذة • وهكذا تمكنت حاميات تيولا مـن ايقاف هجمات العدو ومنعه من التقدم نحو العاصمة بعد تكبيده خسائر مرة •

كان الموقف أمر على الجناح الايمن من الجبهة حول ايشرا وكليـن وسولنشند غورسك • دخلت دبابات العدو مدينة كلين في ٢٣ ت ٢ ممـا هدد وحدات اللواء ١٦ بالمحاصرة فتراجعت عن كلين الى خط الدفـاع الثاني وراءها في ٢٤ ت ٢ بعد قتال مرير ، وسقوط كلين احدث هوة بين قوات اللواءين ١٦ و ٣٠ بسبب ضعف وحدات مؤخرتهما • وفي ٢٥ ت ٢ اضطر اللواء ١٦ الى الانسحاب تحت وطأة الضغط الالماني فعززناه بمـا توفر لدينا من امكانات بقصد الهائه ريثما تصل وحدات الاحتياط مـن القيادة العليا • لم نفلح آنيا وبدأ خط دفاعنا بالانحناء على شكل قـوس وبدأنا نشعر بعدم الجد في اصلاح الامـور ، الا ان جنودنا لـم ييأسوا

فتابعوا صمودهم البطولي حتى وصلت تعزيزات الاحتياط وبات العدو يواجه خط دفاع جديد مستحيل المنال .

في ليلة ٢٩ ت ٢ استغل العدو ضعف حامية جسر قناة فولغا ـ موسكو

قرب يحزوما فاحتل الجسر وقطع الى الضفة الشرقية ، فصادمته هناك وحدات لواء الصدام (المغاوير) الاول المجهزة حديثا بقيادة الجنرال كوزنتسوف وارجعته على اعقابه عبر القناة بعد قتال مرير . وفي اول كانون الاول شن العدو هجوما صاعقا مفاجئا على اللواءين ٥ و ٣٣ في وسط الجبهة وتوغل في طريق منسك ـ موسكو الرئيسي باتجاه كيوبنكا الا ان فرقة الرماة ٣٢ استطاعت ان توقفهم في قرية اكبولوفو بعد ان دمرت قسما من دباباته بنيران مدافعها المركزة وقسم اخر فجرته الالغام المزروعة . وبعد ان فقد العدو معظم دباباته في هذا الهجوم عاد باتجاه غولتسينو فأوقفته وحدات الاحتياط من اللواءين ٥ و ٣٣ . وفي ٤ ك ١ استطعنا تصفية هذا الهجوم على وسط الجبهة ، وترك العدو وراءه على ارض المعركة اكثر من عشرة الاف قتيل و ٥٠ دبابة مدمرة ومعدات اخرى متنوعة . وهذا الهجوم كان اخر محاولة يائسة للعدو في اختراق خطوط الدفاع السوفياتية للوصول الى موسكو .

كانت الاحداث مماثلة الخطورة على القطاعات الاخرى تحت زخم هجمات القوات الصاعقة (قوات الانقضاض) الالمانية . واستطاعت فرق الجناح الايمن لتجمعات العدو في قطاع فولاكولاسك ان تقترب الى مسافة ٥ اميال من مدينة زفيتوغورود في ٢ ك ١ وتوقفت عند هذا الحد في اليوم التالي بفعل المقاومة الضارية . ولمساندة قواته المهاجمة الاخرى قام العدو بهجوم مركز على قطاع نادو ـ فومنسك الهادىء نسبيا في ١ ك ١ ونجح في اختراق جبهة اللواء ٣٣ متقدما الى مدينة ايريلفكا . الا ان

وحدات من الالوية ٥ و ٣٣ و ٤٠ شنت هجوما مضادا على العدو المتقدم. وتمكنت في ٣ و ٤ ك ١ من دحره عبر الضفة الغربية لنهر نارا .

وفي الايام الاولى من ك ١ اصبح واضحا من طبيعة العمليات العسكرية عند العدو في هجماته الانتحارية المتتالية ان قواه قد انهكت وانتقصت عددا وعدة وبات عاجزا عن مواصلة زحفه فتوقفت الة الهجوم.

تبين لدينا من استنطاق الاسرى الالمان ان العدو قد تكبد خسائر ضخمة وباتت بعض مجموعاته لا تتجاوز العشرين او الثلاثين جنديا وان معنويات جيوشه قد تدهورت الى درجة فقد معها الامل في امكانات احتلال موسكو . وقواتنا في الجبهة الغربية تكبدت هي الاخرى خسائر فادحة ونال منها الانهاك انما استطاعت منع العدو من المرور بفضل تعزيزات الاحتياط التي كانت تنصب عليها عملا بنداءات الحزب المتكررة ومساعيه الناشطة في شحذهم الشباب ومعنوياتهم لمقارعة العدو الزاحف الى موسكو بتصلب وعناد .

في الهجوم الثاني الصاعق الذي استغرق عشرين يوما فقد العدو ١٥٥ ألفا بين قتيل وجريح و ٨٠٠ دبابة و ٣٠٠ مدفع و ١٥٠٠ طائرة . ان هذه الخسارة الجسيمة بالاضافة الى سقوط فكرة عنصر المباغتة او الانقضاض (بليتز كريغ) لانهاء الحرب بسرعة والفشل الذريع في تخفيف اهداف ستراتيجية قد تركت اثرا بليغا في نفوس القوات الالمانية ، وفتحت الباب امام المخاوف والارتياب من نتيجة هذه الحرب الضروس . وسقطت امام

الرأي العام العالمي خرافة المستحيل العالقة في اذهان الناس من ان الزعامة العسكرية النازية لا تقهر •

لقد حاول قادة الجيوش النازية السابقون ملامة هتلر في فشله لاحتلال موسكو وفشل مخططاته لهذه الحرب بصورة عامة على اساس انه، بعكس ما نصحوه ، قد اوقف زحف مجمل جيوشه الى العاصمة في شهر اب وحول قسما منها الى اوكرانيا • وعلى سبيل المثال يقول فون ملنذن في مؤلفه « معارك الفهود (الالمان) » : ان الهجوم المقرر على موسكو الذي ايده غودارين والذي تخلينا عنه مؤقتا في اب لاحتلال اوكرانيا اولا ، كان يمكن ان يكون ناجحا لو اتخذناه اساسا لخطة الهجوم هذا ولكان قرر مصير الحرب بعد سقوط قلب روسيا النابض •

يعزو الجنرال هاينز غودارين وهيرمن هوث واخرون هزيمة الالمان امام موسكو الى صعوبة المناخ الروسي واخطاء هتلر ، وقد حاول المؤرخون البرجوازيون والقادة النازيون السابقون ان يقنعوا الراي العام في الداخل والخارج بان المليون جندي الماني الذين هزموا في معركة موسكو قد خسروا المعركة بسبب الاوحال والبرد والثلوج لا بسبب ضراوة الجنود السوفيات وشجاعتهم وصمودهم البطولي • وقد سها عن بال مؤلفي هذه الاعذار كون الجندي السوفياتي يعمل في نفس الظروف وتحت نفس السماء التي يشكو منها هؤلاء المغرضون • وبالنسبة الى وقف الزحف الى موسكو مؤقتا في شهر اب ، فان الالمان لم يروا بدا من تحويل قسم من قواتهم الى اوكرانيا للعمليات الحربية ، هناك • وفي غياب هذه العمليات يتعرض صلب الجيش الالماني الى مواقع اشد خطرا ، واكثر متاعب • ان قوات الاحتياط التي كنا نستخدمها لسد ثغرات الضعف في القطاعات الجنوبية الغربية خلال ايلول كانت ستستخدم ضد

جنـاح ومؤخرة لـواء قلب الهجوم الالمانـي الزاحف الـى موسكو • ان ثورة اعصاب هتلر يفشل مخططه (البليتزكريـغ) عنصر المبـاغتـة او الانفضاض الصاعق ومحاولته ايجاد ذريعة لهذا الفشل ، دفعاه لاقالـة المشير وولترفون براوشتش من قيادة القوات الارضية والمشيرفون بـوك من قياد جيش التجمع المركزي والجنرال هاينز غودارين من قيادة لـواء الدبابات الثاني والجنرال اريخ هوبنر قائد فرقة الدبابات الثالثة واخريـن غيرهم ممن انعم عليهم هتلر بالاوسمة والنياشين خلال الشهرين الماضيين، وتسلم هتلر قيادة القوات الارضية بنفسه اعتقادا منه على ما يبدو ان هذا سيثير حماس جنوده ويلهمهم على مضاعفة جهودهم ضد الجيش الاحمر •

هناك شيء اخر اود ان اذكره وهوان بعض المؤرخات العسكريـة السوفياتيةواخص منها بالذكر كتاب: «الهزيمة الفاشستيةفيمعركة موسكو» تدعي ان الجبهة الغربية مع جبهتي الاحتياط وبراينسك لم تكن قسما من العمليات العسكرية في معركة موسكو ، وان العدو كان قد اوقف علـى خط موجيسك في اواخر ت ١ واوائل ت ٢ وانه كذلك كان قد اعد خطـة جديدة للهجوم على موسكو • ولا يسعني في هذا المجال الا ان ارفض هذه الادعاءات جملة وتفصيلا •

عندما قامت القيادة النازية بعمليات الاعصار الخاطفة في ت ١ كانت تفكر بدحر القوات السوفياتية في قطاعي فايزما ـ موسكو وبراينسك ـ موسكو بانقضاضها من الشمال والجنوب واحتلالها العـاصمة بالسرعـة الممكنة • وقد حاول العدو تحقيق خطة ستراتيجية على صورة فكي كماشة كمادلت على ذلك كيفيات اسلوبه في العمليات العسكرية ، الخطة في شقها الاول كانت محاصرة القـوات السوفياتية ودحرها في قطاعـي براينسك وفايزما والشق الثاني كان في محاصرة واحتلال موسكو بزحف قـوات

العدو في الشمال الغربي الى كلين ومن الجنوب الى تيولا وكشيرا وتطبق الكماشة في قطاع نوجنسك شرقي موسكو . وفي اوائل ت ١ حقق العدو الشق الاول من الخطة مستغلا امكاناته المتفوقة عددا وعدة واخطاء قادة الجبهات السوفياتية . اما الشق الثاني وهو الهدف النهائي باحتلال العاصمة فقد فشل باعتبار ان قوات العدو الرئيسية التهت بالقوات السوفياتية المحاصرة في قطاع فايزما ولم تر خيرا في فك الحصار ومتابعة الزحف حسب الخطة . والقوات المحدودة التي قذفها العدو على خط الدفاع في موجيسك لاختراقه الى موسكو نجحت في تراجع السوفيات الى خط الدفاع الخلفي الممتد من فولوكولامسك الى دورو خوفو ونهري يرونقا ونارا حتى الكسن وتيولا حيث توقفت القوات المهاجمة ولم تستطع التقدم شبرا واحدا .

واوضح ان استجماع العدو لقواه عددا وعدة في هجومه على الجناح الايمن لجهتنا في اوائل ت ٢ ليس استنتاجا منطقيا ولا اساسا حسيا .

للادعاء الوارد في الكتاب المذكور انفا . ان استجماع القوى والتعزيزات الاخرى هي شيء بديهي عام في ستراتيجية العمليات العسكرية لاي هجوم ولا نقرر نهاية او بداية قبل هذه العمليات .

منذ نهاية الحرب والسؤال التالي يطرح علي : كيف استطعتم بالفعل ايقاف زحف العدو القوي الى موسكو ؟ لقد كتب الكثير عن معركة موسكو وما كتب كان بصورة عامة صحيحا . ولكن بوصفي كنت قائدا للجبهة التي تولت مقارعة العدو اود ان اعرض رأيي في الموضوع :

في وضع خطة عمليات الاعصار الخاطفة ، اخطأ العدو في تقييم امكانات جيوشه كما اخطأ في حساب تقييم قواتنا في معركة موسكو، اخطأ

العدو كذلك في تنظيم قوات الصاعقة الالية في هجومه الثاني • ان قوات الاجنحة ومنها نللوا التي كانت تعمل في قطاع تيولا كانت مستضعفة ولم تنلق تعزيزات متوافرة من فرق المشاة • ولم يتعلم العدو من تجربته في ان الاعتماد الكلي على الالة لم يكن كافيا لمثل هاتيك الظروف • فقد انهكت وحدات الدبابات وفقد معظمها وانشلتقوتها الضارية • ولم تكن القوات الالمانية كذلك قادرة على شن هجوم مركز في وسط جبهتنا في حين كانت قواته متوافرة لهذه الغاية ، وفي غياب مثـل هذا الهجـوم كانت قواتنـا الاحتياطية تستطيع التنقل من الوسط الى الاماكن المعرضة لصد هجمـات العدو • ان الخسائر الجسيمة في صفوف العدو وتقصيره في الاستعداد للشتاء بالاضافة الى المقاومة العنيدة التي لقيها من السوفيات قد أثـرت جميعا على قدرته القتالية •

في ١٥ ت ٢ استطاعت استخباراتنا ان تكشف خطة العدو في حشد قواته على اجنحة خطوط دفاعنا وان تعين الاتجاه الفعلي لهجماته الرئيسية فتصدينا لضربات الياته بخطوط دفاع عميقة كثيفة مجهزة نسبيا بتحصينات مضادة للدبابات وبوسائل هندسية اخرى وهنـا تمركزت قوى دباباتنـا الرئيسية • وجنودنا كانوا يتحسسون مسؤولياتهم الشخصية تجاه مصير عاصمتهم وتجاه مصير بلادهم وكانوا مصممين على الموت في سبيل الدفاع عنها •

وقد لعب قرار لجنة الدفاع القومي في ١٩ ت ١ دورا بارزا في اعلان الحصار على موسكو وجوارها والتصميم على حفظ النظام والامن بـين القوات المدافعة عن موسكو ، فكانت تقمع كل مخالفة بصورة حازمة • لقد استطعنا تحسين معالجة القوات وضبطها على مستويات القيادةوالاركان حتى في وسط غليان المعركة فتأمنت لدينا الدقة في تأدية الاوامر •

ان المساهمة الكبرى في تنظيم دفاعنا كان قد اداها فاسيلفسكي نائب رئيس الاركان وعضو ادارة تنسيق العمليات العسكرية . ان تقسيمه للموقف على مشارف الجبهة الغربية خلال المدة بين ٢ و ٩ ت ١ بالاضافة الى توصياته الاخرى كانت اساسا للخطوات التي كانت تتخذها القيادة العامة العليا . ان ضباط هيئة الاركان كانوا يجهدون ليلا ونهارا في ملاحقة تحركات العدو وقد قدموا اقتراحات بناءة في ظروف المحنة تلك .

- ٤ -

هجوم جوكوف المضاد

لم يستطع العدو اختراق تكاتف خطوطنا الدفاعية بعد ان انهكت قواته في الهجمات الانتحارية باتجاه موسكو ولم يستطع كذلك تطويق فرقة واحدة او اطلاق رشق من قنابل مدافعه على العاصمة بالذات • وفي نهاية ك ١ بات يفتقر الى التعزيزات الاحتياطية في حين كانت تتوفر هذه في جبهتنا بعد اعداد لواء الصدام واللواء العاشر ووحدات اخرى دمجت في لواء واحد هو اللواء ٢٠ بحيث أصبحت الجبهة في مستوى شن هجوم مضاد على القوات الالمانية •

وفي الفترة التي نشطت فيها التحصينات الدفاعية حول موسكو ومسالكها كنا نعد الهجوم المضاد هذا بعد ان كانت القوات الالمانية قد تكبدت خسائر جسيمة وانقطع عنها الاحتياط اللازم وباتت تفتقر الى مقاومة جدية في وجه هجوم سوفياتي مضاد مركز • وهجوم موسكو المضاد هذا كان استمرارا طبيعيا وتسلسلا منطقيا لهجماتنا الناجحة على العدو في اواخر ت ٢ • واستغلالا منها للوضع الملائم في التطورات الاخيرة في الموقف حول موسكو ، قررت القيادة العليا اشتراك جبهة كالينين بقيادة

كونيف والجناح الايمن للجبهة الغربية الجنوبية بقيادة تيموشنك مع الجبهة الغربية في شن هذا الهجوم • وفي هذا الوقت قامت القيادة العليا بالتنسيق مع مجلس الجبهة الغربية العسكري بتركيز قوات لواء الصدام في الشمال الغربي من موسكو وشرقي قناة موسكو ــ فولفا واحتشدت قوات اللواء ١٠ حول قطاع ريازان •

لقد افشل السوفيات مخطط العدو في احتلال لينينغراد لفتح نافذة على سكندينافيا واقامة رأس جسر بينه وبين فنلندا ، وفي تنحنين شن الجيش الاحمر هجوما مضادا فدحر العدو واستعاد المدينة بينما تقدمت الجبهة الغربية الجنوبية وحررت مدينة روسنوما على نهر الدون •

في ٢٠ ت ٢ اتصلت بستالين هاتفيا واطلعته على اخر التطورات في الموقف وطلبت منه ان يضع لواءي الصدام والعاشر تحت سلطتي العسكرية كي اتمكن من توجيه ضربات اعنف للعدو وابعاد شبحه عن موسكو •

لقد استمع الي ستالين فيما اذا كنت متأكدا من سوء حالة العدووعدم قدرته حاليا على استعادة قواه الضارية • فاجبته ان العدو منهوك القوى حاليا غير انني لا استطيع ان اضمن سد المنافذ عليه في استعادة قواه ما لم احصل على مساعدة لواءي الصدام والعاشر • واذا لم نسارع الى قطع الطريق على العدو فانه قد ينجح في استعادة قواه احتياطيا واليا ويصبح الموقف علينا بالغ الخطورة • فرد ستالين بأنه سيدرس هذا الامر مع هيئة الاركان العامة • لم اود انذاك أن اتصل بالاركان العامة بل فضلت ان اخبر رئيس الاركان في الجبهة الجنرال سوكولوفسكي للاتصال بالاركان العامة واقناعها بضرورة استخدام لواءي الصدام والعاشر فقد حان الوقت

لدخولهما المعركة الفصل . وفي مساء اليوم ذاته علمنا ان القيادة العليا قد وافقت على ارسال اللواءين المذكورين الى الجبهة الغربية وطلب منا ستالين ان نرفع اليه تقريرا عن مخطط استخدامنا للواءين هذين . وفي اليوم التالي رفعنا التقرير المطلوب ونذكر فيما يلي اهم ما جاء فيه :

١ ــ على قوات الصدام ، بعد ان تكون قد أزالت رأس الجسر الالماني على الضفة الشرقية من قناة موسكو ــ فولفا ، ان نحتشد في قطاع ديمتريوف ــ يخروما وشن هجوما بمساندة اللواءين ٣٠ و ٢٠ باتجاه كلين ويمتد حتى ترباياڤا ــ سلوبادا .

٢ ــ على اللواء ٣٠ ان يدحر العدو في قطاعي روغاشيفوويوشيف ويستعيد مدينتي رشتنيكوفو وكلين بمساندة لواء الصدام وان يواصل زحفه باتجاه كوستليا ــ كوفو ولوتوشينو .

٣ ــ على اللواء ٢٠ بمساندة لواءي الصداع و ١٦ شن هجوم خاطف من ناحيتي كرسنايا ــ بوليان وبلي ــ راست باتجاه سولنشنو غورسك واستعادتها من الجنوب ثم مواصلة الزحف باتجاه فولوكولامسك . وفي الوقت نفسه تقوم وحدات من جناح اللواء ١٦ بالهجوم على العدو المتمركز في قطاعي كريوكوفو وايسترا .

٤ ــ على اللواء ٥٠ في قطاع نيولا ان يشن هجوما باتجاه بولوخوفو وشتايكينو . وتقوم في الوقت نفسه فرقة العمليات الحربية بقيادة بيلوف في قطاع موردفيس بالتقدم نحو فينيف ومن ثم الى ستالينو غورسك واديلوفو يساندها الجناح الايمن من اللواء ١٠ الذي يكون

قد تمركز بين مدينتي سريرياني ـ يرودي وميخايلوف للزحف باتجاه يوزلوفايا ويوغورودينسك حتى جنوبي نهر يوبا .

٥ ــ وفي مجمل ما تقدم يكون اللواءان ١٠ و ٢٠ ولواء الصدام الاول في مواقع تمكنهما من مطاردة العدو وتجمعاته من الشمال والجنوب.

٦ ــ ان الهدف المباشر وراء هجومنا المضاد هذا هو اغلاق نافذتي العدو على جناحي جبهتنا الشمالي والجنوبي وازالة اسفينيهما . ان طبيعة العمليات الحربية الاخرى تقرر ظروف الهجوم وتطورات الموقف في حينها . اما الهدف الرئيسي فهو تكبيد العدو اضخم خسائر ممكنة لازالة خطره المباشر على العاصمة .

اتصلت هاتفيا بستالين واطلعته على اخر التطورات وفهمت من حديثه ان القيادة العليا تبحث جديا أمر مساعدة الجبهة الغربية في هجومها المضاد بوحدات من جبهة كالينين والجناح الايمن من الجبهة الغربية الجنوبية . وقد بحث فاسليف نائب رئاسة الاركان الامر مع كونيف قائد جبهة كالينين في اول كـ ١ . ان دحر القوات الالمانية في هجومها على موسكو لا يعني انقاذ موسكو فحسب بل هزيمة العدو وما يترتب عليها من تأثيرات . فاذا لم نبدأ الهجوم قريبا ، فاتتنا الفرصة ، وعدنا الى المازق .

وفي٢ كـ١ وافق ستالين على اشتراك جبهة كالينين وجناح الجبهة الغربية ـ

كـ ١ وافق ستالين على اشتراك جبهة كالنيني وجناح الجبهة الغربيــة ـ الجنوبية الايمن مع الجبهة الغربية في هجومها المضاد على العدو في جميع القطاعات العاملة باسم معركة موسكو . ثم كلمني ستالين هاتفيا وسألني عما اذا كنت احتاج الى المزيد من المعونات . فأجبته انني اكتفيت بالعــدد ولم اكتف بالعدة . فطلبت منه ٢٠٠ دبابة الا انني لم اوفق باعتبارها غير

متوفرة لدى القيادة العليا ، ثم طلبت منه تغطية جوية لعمليات الهجوم فوافق في الحال • ثم ذكرني بضرورة هجوم جبهة كالينين في ٥ ك ١ والجبهة الغربية الجنوبية في السادس منه •

اشتد الصقيع في هذا الفصل وانخفضت سرعة تنقلاتنا الا اننا في صبيحة السادس منه كنا قد نقلنا جميع القوات إلى مواقعها استعدادا للهجوم ، في ذلك اليوم قامت الجبهة الغربية بقصف جوي متواصل ومدفعية ارضية مركزة شمالي وجنوبي موسكو بينما كانت الجبهتان الاخريان تركزان هجومهما حول قطاعي كالينين وبليتس • بدأت المعركة الكبرى وقبضنا على زمام المبادرة •

وفي ٥ ك١ تمكنت جبهة كالينين من حفر اسفين في خط العدو جنوبي المدينة لكنها لم تستطع اختراق الخط • ولم تستطع هذه الجبهة مواصلة زحفها ضد حرس مؤخرة العدو (الذي كان يغطي عمليات انسحاب جيوشه الرئيسية من قلب المعركة) الا بعد ان استعادت الجبهة الغربية بمساندة مختلف الالوية التي اصبحت تحت تصرفها قطاعي روغاشيفو وسولنشنوغورسك والاستيلاء على مدينة كلين من العدو بعد مطاردة عنيفة لفلول تجمعاته في الخطوط • وقد برز في هذا الهجوم اللواء ١٦في تطهيره وفلول العدو من قطاعي كريوكوفو في وسولنشنوغورسك وفي المدة بين ٦ ك١ و ٥في١ منه تم تطهير العدو من جميع هذه القطاعات بعد قتال ضار جوا وبرا • وقد قصفت قواتنا الجوية ذات المدى البعيد العدو وهو ينسحب فحطمت قسما كبيرا من آلياته وتركتها اشلاء على الطرقات القريبة التي كان يتمركز فيها •

كانت قيادةالجبهة الغربية ترسل وحدات التزلج والخيالة والمظليين وحرب العصابات لعرقلة اعمال انسحاب العدو .

علمتني الخبرة في الحرب ضرورة بقاء القائد في الجبهة مع وحداته حتى اثناء العمليات الحربية لتوجيه قوته وتنسيق اعمالها من مواقع قريبة ينصرف اليها مع اعضاء هيئة اركانه . لقد اعتمدت هذه المبادىء في توجيه جيوش المعركة حول موسكو . الا انه في ظروف فترة الدفاع العصيبة وسبب امتداد الجبهة الى ما يربو على ٣٧٥ ميلا وبعامل حراجة الموقف المعقد لم يسمح لي الوقت بالانقطاع عن هيئة الاركان والالتحاق بالجيوش المقاتلة على طول خط المواجهة . بيد ان المعلومات عن اعمال العدو وتحركاته وتحركات جيوشنا كانت تتوارد الى مقر القيادة فتتدارسها ثم تتصل بالقيادة العليا وهيئة الاركان العامة .

اضطررت مرة واحدة خلال عمليات الدفاع ان اترك مقر القيادة لتفقد احدى فرق اللواء ١٦ . وهذا ما حصل : تلقى ستالين معلومات تفيد ان جيوشنا قد تخلت عن مدينة ديدوفسك شمالي غربي ناخابينو على مسافة عشرة اميال من موسكو ففاجأه الخبر واثار اعصابه . في الـ ٢٤ ساعة الماضية بين ٢٨ و ٢٩ ت٢ كانت فرقة حرس الرماة ٩ بقيادة بيلوبورودوف قد صدت بنجاح هجمات العدو المتكررة منقطاعايسترا . فكيف سقطت المدينة بهذه السرعة وهي على مشارق موسكو ؟

كلمني ستالين تلفونيا وقال : هل تعلم انهم قد احتلوا ديدوفسك ؟
قلت : كلا ايها الرفيق لم اعلم .

ولم ينتظر القائد الاعلى ليفهم لماذا لم اعلم وقال غاضبا : على القائد ان يعلم ما يدور في جبهته • ثم امرني ان اذهب توا الى المكان لأتدبر الامور واستعيد المدينة • فأجبته انه ليس من الحكمة ان اغادر مقر قيادة الجبهة في الظرف الحاسم هذا • لكنه اصر علي فأطعته ثم قمت باتصالاتي الخاصة وفهمت ان القرية التي سقطت بيد العدو لم تكن دويدوفسك بل ديدوفو وهي بعيدة عن موسكو • ان المعلومات التي تلقاها ستالين كانت خاطئة ولم أنس ان اتصل به هاتفيا لاعلامه بالامر في الحال باعتبار انه قد امرني بالذهاب الى المنطقة بالذات واسترجاعها وكان مغتاظا للغاية • ثم اتصلت بروكوسوفسكي وغوفوروف وذهبنا معا الى فرقة بيلوبورودوف ولم يكن هذا القائد مسرورا بوجودنا لانه كان منهمكا باعمال جبهته ولم يعر اهتماما لامتلاك العدو بعض المنازل المنفردة من قرية ديدوفو في احدى الوهاد باعتبارها ليست بمكانة ستراتيجية • وبالرغم من هذا فقد امرته بارسال كتيبة من المشاة لطرد الالمان من هذه المنازل ففعل وطردهم فعلا في ١ ك ١ • وفي هذه الاثناء دعيت الى الهاتف للاتصال بهيئة اركان الجبهة وكان الخط مقطوعا فأرسلت احد ضباط الاتصال لاستطلاع الامر وعلمت بعد ذلك بقليل ان القائد الاعلى قد اتصل بمقر القيادة بضع مرات ولم يجدني وترك امرا لاتصالي به فورا • كان العدو قد هاجم اللواء ٣٣ في نقطة كانت حتى الساعة هادئة نسبيا وبات علينا ان نعد الخطة لصده قبل ان تتفاقم الامور في قطاع ايريفلكا • اتصلت بستالين واطلعته على الوضع والخطوات التي اتخذتها ضدعملياته على وسط الجبهة • وفي نهاية الحديث سألني عما فعلتهلطرد الالمانمنقرية ديووفسك (القريبة من موسكو) • فأجبته انني ارسلت قوة لطرد الالمان

من قرية ديدوفو فاستنتج ما اعنيه وانتهى الحديث • هذه هي الحادثة الوحيدة التي اضطرتني الى مغادرة مقر القيادة وسط الجبهة الى فترة وجيزة اثناء معركة موسكو الحاسمة •

اثناء المعركة في سبيل موسكو وعندما بدأنا هجماتنا المضادة قمت بزيارة تفقدية لكل من لواء ١٦ بقيادة روكوسفسكي واللواء ٥ بقيادة غوفوروف واللواء ٤٣ بقيادة غولوبوف واللواء ٤٩ بقيادة زخارين لمعاونة قادة الالوية هذه في تنسيق عملياتهم العسكرية مع الوحدات المجاورة ولفت انتباههم الى هجمات العدو المتكررة على مقدمة الجبهة ولحث جيوشهم على اجتياز مواقع القوة عند العدو ومطاردة مؤخراته دون رحمة •

وقد لقي دوفاتور قائد كتيبة حرس الخيالة ، حتفه اثناء هجوم شنه العدو في ١٩ ك ١ على قرية بلاشكينو الواقعة على مسافة ١٤ ميلا الى الشمال الغربي من روزا ونقل جثمانه الى موسكو • وقد لبت رئاسة مجلس السوفيات الاعلى طلبي في منحه لقب بطل الاتحاد السوفياتي، وخلفه في القيادة الميجر جنرال بلييف قائد فرقة الخيالة ٣ السابق •

قام جناح الجبهة الغربية بمساندة وحدات اللواء ٥٠ وكتائب خيالة بيلوف بشن هجوم في ٣ ك ١ على فرقة من دبابات العدو بقيادة غودارني في قطاع تيولا • وتحت وطأة الهجوم اضطر العدو الى التراجع منسحبا من فينيف احدى مدن القطاع تاركا وراءه ٧٠ دبابة على ارض المعركة • لقد ضعف لواء الدبابات التالي بقيادة غودارني بعد ان جزئت قوته لتطويق قطاع تيولا وفي ٦ ك ١ انضم اللواء ١٠ الجديد الى المعركة في ميخاليلوف حيث اظهر العدو مقاومة عنيفة بقصد تغطية جناح اللواء الالماني

المنسحب حول تيولا • وفي ٨ ك ١ شن اللواء ٥٠ هجوما من تيولا وهدد القوات المنسحبة من فينيف وميخايلوف بالفصل عن جسم جيوش العدو• بدأ لواء الدبابات الالماني بعمليات انسحاب سريعة عن طريـق اوزلوفايا وبوغوروديسك باتجاه سوفينيشي تاركا وراءه مختلف الاسلحة الثقيلة والآليات الاخرى بعد ان فتحت قواتنا نوافذ على جناحيه وبعد ان تعذر عليه استقدام تعزيزات الاحتياط • وفي مدى عشرة ايام تمكن الجنـاح الايسر للجبهة الغربية من دحر هذا اللواء بقيادة غودارين ومطاردته ٨٥ ميلا •

اما قوات جبهة براينسك التي اعيد تنظيمها في ١٨ ك ١ فقد كانتهي الاخرى تطارد فلول العدو الى يسار الجبهة الغربية • وقد انتهت المرحلة الاولى من هجومنا المضاد باسترجاع خط الدفاع الامامي الممتد من قطاع اورشكي وستاريشا ونهـــري لاما وروزا الى مالوياروسلافنـــس وتيخونوفايوستنوكالوغا وموزالسك حتى سوفينيشي وبيليف ومتسك ونوفوسيل • وقد تراجعت غربا القوات الالمانية المنهوكة تحت ضغـــط قواتنا المتزايد •

بوصفي عضوا في هيئة القيادة العليا استدعيت الى القيادة مساء ٥ ك ٢ لبحث الخطط الموضوعة لشن هجوم عام • وهنا رفع المارشـــال شايوشنيكوف رئيس هيئة الاركان العامة تقريرا مختصرا عن الموقف في الجبهة وعرض مسودة الخطة للعمليات القادمة • فقال ستالين : يبدو ان الالمان قد أذهلوا بفشلهم في معركة موسكو وبا تاستعدادهم ضعيفـا لعمليات الشتاء ، فالوقت اذن ملائم لشن هجوم عام •

واورد هنا ما جاء في خطة شابوشنيكوف :

١ ـ اذا نجح الهجوم العام على طول الجبهات الغربية تقوم الجبهات الاخرى فورا بشن هجوم مماثل • والهدف من هذا الهجوم هو دحر العدو في لينغراد غربي موسكو وجنوبها ويركز الهجوم على القوات الرئيسية لجيش العدو • وتقوم مجمل قوات الجبهة الشمالية الغربية وجبهة كالينين والجبهة الغربية بهجوم على شكل كماشة يطبق فكاها على قوات العدو الرئيسية بين رجيف وفايزما وسمولنسك •

٢ ـ على قوات جبهة لينغراد بمساندة جناح الجبهة الشمالية الغربية الايمن والاسطول البلطيقي ان تهزم جيش العدو في الشمال وتفك الحصار عن لينغراد • اما قوات الجبهة الغربية الجنوبية وسائر الجبهات الجنوبية فعليها ان تهزم العدو في الجنوب وتحرر حوض نهر الدون بينما تقوم جبهة القوقاس واسطول البحر الاسود بتحرير منطقة القرم • وتقرر ان يتم الهجوم في وقت قصير جدا •

بعد ان فسح المجال لابداء الرأي قلت انه يجب ان نشن الهجوم من الجبهة الغربية باعتبارها تتمتع بظروف ملائمة لان قوات العدو المقابلة لهذه الجبهة لم تستعد قوتها بعد • كما ان متابعة الهجوم تتطلب مزيدا من الاحتياط والعتاد وبصورة خاصة الدبابات • وبالنسبة للهجوم المقرر انطلاقه من جبهة لينغراد فالعدو هنا قوي التحصين والتمركز ويلزمنا تبعا لذلك مساندة ضخمة من المدفعية والدبابات كي تستطيع قواتنا كسر الطوق حول المدينة والا ستتعرض بدونها الى فشل لا مبرر له • وفي رأيي ان نعزز الجبهة الغربية قبل الشروع بأي هجوم مقرر • وبعد عرض رأيي هذا فهمت ان ستالين قد قرر نهائيا ولا مجال هناك للجدل والنقاش • ثم تكلم فوجنترنسكي رئيس هيئة التخطيط القومي معارضا

فكرة الهجوم العام على جميع الجبهات في وقت واحد وحجته في ذلك هي النقص الذي تعانيه في العدة والعتاد لانجاح مثل هذا الهجوم . ثم قال ستالين انه تكلم مع تيموشنكو فوافق على الهجوم وانه يجب علينا ان نهاجم العدو قبل ان يستجمع قواه فلا يستطيع الهجوم في الربيع . وقد ايده مالنكوف وبيريا الذي انتقد فوجنزفسكي بقوله ان هذا يجد اعدادا غير واردة . وقد انهى ستالين البحث بقوله : انتهت الجلسة .

خرجت بانطباع ان ستالين قد دعانا الى مقر القيادةالعليا لا للتشاور والبحث حول استعجال الهجوم العام بل لاحراج العسكريين كما اعتاد ان يفعل احيانا . ولما خرجنا من المكتب قال شابوشينكوف انه من الحماقة ان نثير النقاش باعتبار ان اوامر القائد الاعلى قد بلغت الى قيادات الجبهات وسيبدأ الهجوم قريبا . فقلت : لماذا اذن طلب ستالين رأيي ؟ فأجاب متنهدا : لست ادري يا صاح .

كان على قوات الجناح الايمن (الالوية ١٦ و ٢٠ ولواء الصدام) شن الهجوم باتجاه سايشفكا تساندها قوات جبهة كالينين لسحق العدو في قطاع رجيف ـ سايشفا . اما قوات جهة الوسط (الالوية ٥ و ٣٣) فكان عليها ان تزحف باتجاه خطي موجيسك وغجاتسك بينما تزحف قوات الالوية ٤٣ و ٤٩ و ٥٠ نحو قطاع يوفنوف لدحر العدو في قطاع يوفنوف ـ كوندروفو ومواصلة الزحف باتجاه قطاع فايزما . ويتقدم اللواء العاشر باتجاه كيروف لتغطية جناح الجبهة الغربية الايسر . وتكون جبهة كالينين الى اليمين قد زحفت في هذه الاثناء نحو سايشفكا وفايزما مجتازة رجيف بينما يتقدم لواؤها الـ ٢٢ ناحية بيلي . ينوتقوم الجبهة الشمالية الغربية بهجوم على اتجاهين . الاول يسلكه لواء الصدام الثالث بقيادة اللفتننت

جنرال بركاييف باتجاه فيليكي ــ لوكي والثاني يسلكه لواء الصدام الرابع بقيادة الكولونيل جنرال بريمنكو باتجاه اندريوبول وتوروبتس وفاليج. اما جبهة برانيسك الى اليسار فكان عليها استعادة اوريل وكورسك بينما تقوم قوات الجبهة الجنوبية الغربية بالاستيلاء على خاركوف واقامة رأس جسر عبر نهر دنيبر قرب دنبريتروفسك وزايدروجي . تبين ان خطة الهجوم العام الواسع على جميع الجبهات لم تعزز بالعدة والعدد اللازمين ولم تحرز معظم الجبهات اي انتصار على العدو ما عدا الجبهة الشمالية الغربية فقد استطاعت ان تتقدم ١٥٠ ميلا بوصولها الى مشارق فاليكي ــ لوكي وداميدوف وفاليج في اوائل شباط لان العدو لم يكن يتمتع بخطوط دفاع مستمرة على طوال مواقعه هناك . اما الجبهات الاخرى بمختلف ألوينها فلم تستطع افتراق خطوط دفاع العدو القوية في قطاعات بيلي ورجيف وفايزما .

اما قوات في الجبهة الغربية (اللواء ٢٠ وبعض اقسام لواء الصدام الاول وكتائب خيالة بلبيف وكتيبة الدبابات ٢٢ و ٥ فرق تزلج) فقد بدأت هجومها في ١٠ ك ٢ بعد قصف مركز بالمدفعية دام ٩٠ دقيقة واستطاعت اختراق خط العدو المحضر في فولوكولامسك بعد قتال ضار فاضطر العدو الى التراجع وانصبت بعض قوات الجبهة في الثغرة المفتوحة هذه عبر خطوط العدو باتجاه شاخوفسكايا . وقد مهد نجاح هذه العملية الطريق لجناح جبهتنا الايمن بمساندة مجموعات حرب العصابات لاسترداد لوتوشينو وشاخوفسكايا في ١٦ و ١٧ ك ٢ مجتازا سكة حديد موسكو ــ رجييف . وقد فوت علينا فرصة استغلال هذا النجاح على العدو امر القيادة العليا بالحاق لواء الصدام الاول بقوات الاحتياط . ان نقل اللواء ٣٠ الى جبهة كالينين وسحب لواء الصدام هذا قد اضعفا

الى حد بعيد جناح الجبهة الغربية الايمن • وشعورا منا بمواصلة الضغط على العدو في هذا القطاع فقد اتصلت وسوكولوفسكي بهيئة الاركان العامة طالبين ابقاء لواء الصدام الاول في الجبهة • وكان الجواب بسيطا كالعادة : هذه اوامر القائد الاعلى ! فاتصلت بستالين فأجابني : لا تناقش • عليك تنفيذ الاوامر ! فلججت عليه متوسلا ان يبقي هذا اللواء في الجبهة الغربية ريثما يكتمل الهجوم الحالي لان سحبه سيضعف قواتنا الضاربة ولا نريد تخفيف الضغط عن العدو • فأجابني : لديك الكثير من القوات الضاربة • ثم اقفل السماعة • ثم اتصلت بشابوشينكوف وشرحت له الوضع ولكن دون جدوى لان هذه ،كما قال، كانت اوامر ستالين •

لقد اضعف عمل ستالين هذا قوات الجناح الايمن فأوقفه العدو عن متابعة الزحف بعد ان قارب مشارف مدينةغجاتسك • وفي ٢٠ ك ٢ تمكنت قوات اللواءين ٥ و ٣٣ المتقدمة في الوسط من استرداد روزاودوروخوفو وموجيسك وفيرايا بينما وصلت قوات اللواءين ٤٣ و ٤٩ مشارق دومانوف واشتبكت مع العدو في معركة ضارية حول بوظنوف • وفي ١٨ ك ٢ و ٢٢ منه هبطت فصيلتان من كتيبتي المظليين ٢٠١ و ٢٥٠ ارض جيلاني على بعد ٢٥ ميلا الى الجنوب من فايزما لتسد على العدو ممرات الفرار • ثم تسلم اللواء ٣٣ اوامر بتوسيع المنفذ الذي فتحه باتجاه فايزما واستعادة السيطرة على هذا القطاع بمساعدة فرقة خيالة بيلوف الاولى ووحدات المظليين ومجموعة حرب العصابات وفرقة الخيالة ١١ التابعة جميعا لجبهة كالينين • وفي ٢٧ ك ٢ اجتازت فرقة خيالة بيلوف طريق وارسو الرئيسي وقطعت مسافة ٢٠ ميلا الى الجنوب الغربي من بوخنوف وانضمت بعد ثلاثة ايام الى وحدات المظليين والعصابات جنوبي

فايزما . وفي ١ شباط انضمت اليها ثلاث فرق رماة من اللواء ٣٣ بقيادة يفروفوف وبدأت المعركة لاسترداد قطاع فايزما . ولتعزيز فرق الخيالة من جبهة كالينين امرت القيادة العليا كتيبة المظليين ٤ بالهبوط في منطقة اوزريرشنيا غربي فايزما . الا اننا لم نستطع انزال العدد اللازم من المظليين في منطقة الهدف لافتقارنا الى وسائل النقل الجوي اللازمة . وما استطعناه هو انزال الكتيبة ٨ وقوامها الفا مظلي .

وعلى هذا النحو استطاعت قوات الخيالة ووحدات المظليين ان تتمركز في مؤخرة العدو لتسهيل عمليات اللواء ٣٣ من التقدم في ٣١ ك ٢ الى قطاعي شانسكي ـ زافود ودومانوفو لوجود فجوة هناك في خطوط العدو الدفاعية . وفي غياب الالمان عن خطوط المجابهة دليل على كونهم يفتقرون الى الاحتياط لاستمرار تعزيزها . وتتيجة لهذا قررنا مواصلة الزحف الى فايزما لاسترجاعها قبل ان يتمكن العدو من استقدام التعزيزات والاحتفاظ بسيطرته على هذه المدينة وقطاعها . وقرر الجنرال يفروفوف ان يبدأ الهجوم بنفسه . ولما شارفت قوات يفروفوف فايزما اقفل العدو الفجوة في جبهته واستعاد خط المواجهة على محاذاة نهر اليوغرا . فوقعت قوات يفروفوف في فخ الحصار الالماني . ولم تستطع بقية الالوية المرابطة في شانسكي ـ زافودومدين ان تهب لنجدة المحاصرين كما امرت لان العدو كان يضغط عليها من كل جانب . ولما وصلت فرقة خيالة بيلوف الى قطاع فايزما لمساندة قوات يفروموف وقعت في نفس الحصار وتعذر علينا امداد المحاصرين بالمؤونة بعد ان تلقى العدو تعزيزات كبرى من فرنسا ومناطق اخرى .

وتتيجة لهذا اضطررنا الى التخلي عن مواقعنا وتراجعنا الى غابة

كثيفة غرب فايزما حيث كانت ترابط وحدات من العصابات المقاتلة وبدأنا مقارعة العدو من المؤخرة لمدة شهرين ونجحنا في تكبيده خسائر جسيمة بالارواح والمعدات • ففي ١٠ شباط مثلا استطاع المظليون وجماعة العصابات من اقتحام مورشانوفو ودياغلوفو في مؤخرة العدو وتدمير مقر قيادة فرقة الدبابات الالمانية الخامسة وحيازة موجوداته •

استطعنا الاتصال لاسلكيا بالقوات المعزولة وعملنا ما بوسعنا لتموينها بالذخيرة والعقاقير والطعام • واستطعنا كذلك نقل المصابين والجرحى جوا للمعالجة • وتمكن الميجر جنرال غولوشكافتش رئيس العمليات العسكرية في القيادة من زيارة المعزولين بين الفينة والاخرى مع بعض ضباط الاستطلاع • الا انه في اوائل نيسان تدهور الموقف في مواقعهم لان العدو حشد قوات كبيرة لاقتلاع هذه الشوكة في خاصرته قبل حلول الربيع • وقد وافقت قيادة الجبهة ، بناء على طلب القائدين المحاصرين مع قواتهما ، على مخططهما لكسر الطوق عنهما والافلات من قبضة العدو من الوراء للوصول الى المحاصرين • وبموجب الخطة استطاعت قوات بيلوف الخيالة وحدات المظليين ان تلتحق بقطاع اللواء العاشر في الفترة بين اواخر ايار واوائل حزيران بعد ان تسللت عبر طريق طويل على شكل حافر حصان • كان الجنرال يفروموف قد اعتبر ممر الفرار هذا طويلا جدا بالنسبة الى قواه المنهكة فاتصل مباشرة بالقيادة العليا متوسلا السماح له بالخروج عبر نهر اليوغرا • اتصل بي ستالين وسألني عما اذا كنت اوافق على هذه الخطة وقد اجبته بكلمة « لا » المعهودة لدي • الا ان القائد الاعلى اثنى على قدرة القائد يفروموف وخبرته واصر علي ان اتركه ينفذ خطته وامرني ان اشن هجوما باتجاه الممر المقترح • فأرسلت اللواء ٤٣ لهذه الغاية واستطاع الاقتراب

من النهر الا انه لم تبد هناك اية تحركات من المحاصرين على الجانب الاخر • وعلمنا فيما بعد ان العدو قد تنبه الى محاولة الفرار عبر النهر فتصدى لها وقطع الطريق عليها • وقد استشهد يفروموف في هذه المعركة اللامتكافئة كما استشهد معه عدد كبير من قواته •

كان الجنرال يفروموف قائد اللواء ٣٣ في ٢٥ ت ١ الماضي عندما حاول العدو اختراق خط دفاع قواته باتجاه موسكو وفشلت بفضل شجاعته وصمود قواته • وقد منح وسام العلم الاحمر لبسالته في معركة موسكو • وكان قد استشهد معه في المعركة اللامتكافئة الميجر جنرال اوفروسيموف ركن فرقة المدفعية • وكان رفيقي في الصف عام ١٩٢٩ — ١٩٣٠ في معهد الجيش الاحمر لاعداد كبار القادة •

اما فرقة الخيالة بقيادة بيلون فقد استطاعت بحكمة ان تتجنب مواقع العدو القوية في تسللها الطويل للالتحاق باللواء العاشر الذي شن هجوما باتجاه مخرج المحاصرين• ولما التقت القوتان انسكبت دموع الفرح والنجاح بالمهمة بعد مقاساة مريرة مما يدل على تعلق الجنود السوفيات ببعضهم البعض والتعاضد الاخوي والتضامن الجماعي •

وبنظرة انتقادية الى حوادث عام ١٩٤٢ استطيع ان اقول اننا قد اخطأنا في تقييم قواتنا وقوات العدو المتمركزة في قطاع فايزما وعليه فشلنا في سحق هذه الجوزة في وسط جبهاتنا من الجهات الاربع •

في شهري شباط واذار كانت القيادة العليا تطالبنا بشن هجوم اعنف على العدو الا ان قواتنا كانت منهكة ولم يتوفر لدينا الاحتياط

اللازم والذخيرة والمعدات • وللايضاح نجري فيما يلي مقارنة بين ما كان مقررا ان تتسلمه من ذخيرة وبين ما تسلمناه فعلا في الايام العشرة الاولى من الهجوم :

نوع الذخيرة	ما تسلمناه	
قنابل هاون ٨٢ مم	١ ٪ مما وُعِدْنا به	
قنابل مدفعية	من ٢٠–٣٠٪ « « «	
قنابل هاون ٥٠ مم	٢و٧ ٪ « « «	خلال شهر ك٢
قنابل هاون ١٢٠ مم	٣٦ ٪ « « «	
قنابل هاون ٨٢ مم	٥٥ ٪ « « «	
قنابل مدفعية	٤٤ ٪ « « «	

ولم تتسلم شيئا خلال شهر شباط مما وعدنا به • وعليه وقعنا في ازمة النقص بالذخيرة وتحتم علينا ارسال قوات المدفعية الى المؤخـرة لانجاز اعمال تخريبية على العدو •

في تقريري الى ستالين بهذا الخصوص في ١٤ شباط ١٩٤٢ قلت : لقد اظهرت الخبرة في الحرب فوق اي اعتبار او جدل انه من المستحيل القيام بهجوم على عدو قوي ما لم تغطيه قنابل المدفعية المتواصلة • لـم نستطع الرد على مدفعية العدو بدون مدفعية مما اضعف قواتنا المهاجمة وكبدها خسائر جسيمة دون ان تحقق اي تقدم •

وكانت الفرصة قد فاتتعلينا عندماقررت القيادة العليا تعزيز قطاعات

الجبهة الغربية لان العدو من خلال مجرى الاحداث قد تنبه الى الامر فعزز قواته وحصن مواقعه واستأنف هجماته على الجبهتين الغربية وكالينين • ومن هنا بدأت قواتنا المنهكة تعاني من ضغط العدو عليها في هجماته المتكررة دون ان يتيح لنا الفرصة لنتدبر امورنا • رفعنا الى القيادة العليا تقارير وتوصيات مطالبين بوقف الهجوم والعمل على تحصين مواقعنا والحفاظ على خطوط دفاعنا • فرض طلبنا وامرنا وامرنا ستالين بالهجوم قائلا : اذا لم تنجح اليوم تنجح غدا • فالهجوم افضل لانه يعرقل تحركات العدو فتتنفس بقية الجبهات • وفي بلاغه المؤرخ في ٢٠ آذار طالبنا القائد الاعلى من جديد بضرورة الاسراع في شن الهجوم • وفي الفترة بين اواخر آذار واوائل نيسان حاولت الجبهات الغربية تنفيذ مضمون البلاغ الذي يدعو الى سحق العدو في قطاع رجبيف ــ فايزما الا ان جهودنا في هذه المحاولة قد باءت بالفشل • عند هذا اقتنعت القيادة العليا بتوصياتنا ووافقت على ان نعتصم وراء خطوط دفاع قوية تمتد من فاليكي ــ لوكي وفاليج وداميدوف وبيلي وديوفوفشينا الى فاليدوفو ورجبيف وبوغوريلوي وغوروديش وجاتسك ونهر يوغرا حتى سباز ــ ديمنسك وكيروف وليودينوفودخولميشي ونهر الاوكا • وكانت قوات الجبهة الغربية في هجوم الشتاء قد تقدمت نحوا من ٦٠ ميلا مما حسن الوضع العسكري الستراتيجي في الغرب •

وفي نفس الوقت فقد فشلت عمليات جبهة لينينغراد وفولخوف بالاضافة الى عمليات الجبهتين الجنوبية والجنوبية الغربية ولم تحقق اهدافها باعتبار ان العدو كان يفوق قواتنا عددا وعدة الى جانب ما اظهره من مقاومة ضارية • ولهذا اظهرت الاحداث خطأ ستالين عندما دعا الى هجوم عام في ك ٢ • كان من الحكمة ان نحشد قواتنا في القطاعات

الغربية (من جهة يراينسك والجهة الغربية) وتوجه ضربة حاسمة الى العدو في مركز تجمعاته لارجاعه الى الخط الممتد من ستارايا ـ روما الى فاليكي ـ لوكي وفايتبسك حتى سمولنسك ويراينسك قبل ان اتخذتا مواقع دفاعية للاستعداد الى حملة صيف ١٩٤٢ . لو ان ألوية الاحتياط التسعة المتوفرة لدى القيادة العليا لم توزع على امتداد الجبهات بكاملها ولو انها حشدت في الغرب فقط لكان الهجوم قد سحق العدو وقلب وجه الحرب .

من النتائج النهائية لمعركة موسكو الكبرى تبين بالدليل القاطع ان كفة الحرب رجحت مع السوفيات وتدهورت مع الالمان . وقد اقر بذلك جنرالات هتلر ومنهم تبلسكرش وبلومنشرت وبايرلين وفون موتوفل ثم وستفال الذي قال : ان الجيش الالماني الذي لا يقهر كما يعلق في اذهان الناس قد بات على شفير الانقراض . هذه حقائق دامغة لا تدحض. فقد تكبد الالمان ما ينيف عن نصف مليون جندي و ١٣٠٠ دبابة و ٢٥٠٠ مدفع و ١٥ الف شاحنة وعددا ضخما من المعدات والاليات الاخرى . وقد تقهقروا غربا عن موسكو نحوا من ٢٠٠ ميل .

ان الهجوم السوفياتي المضاد الذي شن في شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ كان في اسوأ الظروف المناخية ، كما كان ينقصه العدد والعدة بالنسبة الى العدو نوعية وكمية . وقد علمتنا الخبرة الحربية ان اي هجوم في ظروف مماثلة مصيره الفشل .

وفي الاشهر الستة الاولى من الحرب استطاعت القوات السوفياتية للمرة الاولى ان تمني العدو بهزيمة في معركة موسكو . وكان انتصارها

الوحيد هذا انتصارا ستراتيجيا منذ بدء الحرب الكونية الثانية على قوات فهرماخت (الرايخ الثالث) • وقبل هذا كانت القوات السوفياتية قد دافعت ببطولة وصمدت امام العدو الزاحف الى موسكو واستطاعت ان ترده على اعقابه بعد قتال مرير دار امام ابواب موسكو ولم يتمكن العدو من دخول هذه الابواب • وهذا تفسير منطقي لقدرة الجندي السوفياتي القتالية ونضوج قائده في فن العمليات العسكرية الستراتيجية والصدارة فيها •

ان الهزيمة الالمانية في موسكو كانت صدى عالميا لاماني الشعوب المناهضة للفاشستية البغيضة وانقذت الانسانية من ذل العبودية • كذلك الهزيمة الالمانية في لينغراد ورستوف وتخفين قد اقضت مضاجع الاوساط الرجعية في اليابان وتركيا واضطرت هاتان الدولتان الى الحرص على انتهاج سياسة متزنة مع الاتحاد السوفياتي •

وبعد هزيمة الفاشيست امام جدران موسكو انتقل زمام المبادرة الستراتيجية الى قبضة القيادة السوفياتية على جميع القطاعات في الجبهة الالمانية ـ للسوفياتية • وقد قام الالمان بمحاولة يائسة لارغام البلدان التي احتلوها على ارسال جيوشها الى جانب الجيش الالماني على الجبهة السوفياتية وبذلك عرضوا علاقات هذه الدول الى المخاطر السياسية الداخلية مع الاتحاد السوفياتي والدول الاخرى المناهضة لدول المحور •

والهزيمة الالمانية في موسكو قد اسقطت الخرافة العالقة في اذهان الالمان من جندي عادي الى قائد كبير من ان القوة العسكرية الالمانية لا تقهر واسقطت كذلك من ذهن هتلر بالذات •

بالرغم من استعداداته وعقيراته الدقيقة الكاملة ، لم يأخذ هتلر بالحسبان فكرة تعدد الجبهات عليه في الاتحاد السوفياتي • اضطر هتلر ان يقسم جيشه الى شطرين : الاول لمجابهة الجيش السوفياتي النظامي وقدرته القتالية والثاني لمواجهة وحدات حرب العصابات القوية المتمرسة السريعة • وغفل هتلر كذلك مع ضباطه وجنرالاته عن بطولة المقاومة السوفياتية الانتحارية التي كانت هي الاخرى عنصرا جذريا في سقوط الخرافة الفاشستية • وكا نالحزب الشيوعي يدير شؤون منظمات المقاومة الشعبية وفرق حرب العصابات التي اقضت مضاجع العدو وقطعت عليه الطريق في تحقيق اية اهداف عسكرية على الارض السوفياتية •

لا يسعني الا ان انحني اجلالا امام ذكرى الذين سقطوا في ساح الوغي دفاعا عن الوطن السوفياتي الكبير وعن كل شبر من اراضيه وعن موسكو عاصمة هذا الوطن وقلبه النابض •

كثيرا ما كان يطرح علي هذا السؤال : اين كان ستالين اثناء معركة موسكو ، ان ستالين كان في موسكو طيلة المعركة يدير شؤون القوات السوفياتية ويخطط للهزيمة الالمانية • وبوصفه رئيسا للجنة الدفاع القومي وقائدا اعلى للقوات المسلحة والبلاد ، كان يعمل مع سائر القادة العسكريين وممثلي الشعب علىاعداد جهاز البلاد وتنظيمه وتنسيقه وارساء سفينة النصر على شاطىء السلام وقد حقق المعجزات في هذا المجال •

ولم يؤخذ عليه الا بعض المواقف التي كان يتخذها منفردا في ظروف غير ملائمة وذلك اثناء معركة موسكو حينما سحب لواء الصدام الاول من الجبهة ووزع الهجمات على جميع الجبهات ولم تكن في ذلك الحين بمستوى هجوم من هذا النوع •

وعندما أسأل عما اتذكره من ماضي الحرب الطويل أجيب : معركـة موسكو . فقد مر عليها ربع قرن . لن انسى احداث ومعارك البطولـة . لانه في الوقت الذي كانت قواتنا تفتقر الى العدة والعتاد استطاعت ان تناور بين كروفر الى ان اوهنت العدو وتمكنت من شن هجوم عام عليه وردته الى عقر داره . ان احفادنا بعدنا سيذكرون بطولة الشعب السوفياتي وتضحياته في المعجزات التي حققهـا جيشه . ومعركة موسكو بالذات قـد انزلت المسمار الاول في نعش النازية الالمانية .

- ٥ -

الربيع الخطر

ان الموقف السوفياتي داخليا وخارجيا قد تحسن نوعا ما في اواخر ربيع ١٩٤٢ لان جبهة اعداء النازية آخذة بالامتداد والقوة . في كانون الثاني وقع ست وعشرون دولة بيانا اعلنوا فيه موافقتهم على استخدام جميع الوسائل الموضوعة تحت تصرفهم ضد المعتدين واتفقوا كذلك على الا تقوم اية دولة منهم بتوقيع اية اتفاقية جانبية لوقف القتال او الصلح بينها وبين العدو . وعقد الاتحاد السوفياتي اتفاقا مع الولايات المتحدة وبريطانيا على فتح جبهة ثانية في اوروبا عام ١٩٤٢ . هذا بالاضافة الى عوامل اخرى منها اندحار العدو امام موسكو وفشل المخطط الالماني للانقضاض او انزال الضربة المباغتة القاضية (بليتز كريغ) لانهاء الحرب بسرعة ، قد قوى عضو اعداء النازية في جميع البلدان .

وعاد الهدوء الى الجبهة الالمانية السوفياتية واتخذ كل من الجانبين مواقف دفاعية وراح يحض مواقعه ويحفر خنادقه ويقيم الاسلاك الشائكة حولها ويزرع الالغام على مشارف خطوط المواجهة . وراح القادة وهيئات

الاركان من كل جانب يعدون الخطط للمعركة المقبلة والتنسيق بين مختلف قطاعاتهم •

ان الشعب السوفياتي وقد الهمه انتصار جيشه في معركة موسكو التي قلبت وجه الحرب قد اعاد تنظيم اقتصاد البلاد وزيادة الانتاج خلال فترة الحرب • بدأ انتاج الدبابات والطائرات والمدفعية وسائر المعدات والذخيرة ، وبدأ كذلك تشكيل وحدات الاحتياط الستراتيجية في قلب البلاد لمختلف الخدمات والقطاعات • وقد مكنت قدرة الشعب الانتاجية وخبرته التقنية القيادة العليا من تشكيل وحدات جديدة من المدفعية والدبابات وجهزتها بأحدث المعدات والاليات في ذلك الحين • وبدأت القوات المسلحة تجهز قطاعاتها بمدافع مضادة للدبابات من عيار ٤٥ـمم و ٧٦ـمم وتم اعداد وحدات من هذه المدفعية لاستخدامها ضد وحدات العدو القوية •

ثم اتخذت خطوات حاسمة لتحسين الدفاع الجوي • وفي حزيران كان الجيش قد انشأ ٩ الوية من القوات الجوية • وبلغ عدد جنود الجيش السوفياتي قرابة ٦ ملايين رجل ووزعت على الويته ٤٩٦٠ دبابة و ٤٠٨٠٠ مدفع وقرابة ٢٥٠٠ طائرة • وبدأت القوات المسلحة حملة تدريب عسكرية واسعة النطاق شملت خبرتها في الحرب الاخيرة وقدرتها على اقتناء واستعمال الاسلحة الجديدة • ثم قامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد مخاض سياسي عسير في القوات المسلحة باتخاذ سلسلة من التدابير لتحسين جهاز الحزب التوجيهي في الجيش • فعينت السيد شيرياخوف امين سر الحزب ورئيس الحزب الشيوعي في موسكو رئيسا للهيئة الادارية السياسية خلفا للسيد مخليس • ودعت اللجنة كذلك مجالس

الجبهات المستقلة والنظامية الى تحسين عملهم السياسي بين جنودهم لاحترام النظام والحفاظ على القدرات القتالية لمختلف القطاعات .

كانت القيادة الالمانية تعد لهجوم في الصيف وتعتبر الجبهة السوفياتية قوة ضارية يجب القضاء عليها . وتابعت هذه القيادة استقدام التعزيزات من دول المحور الى الجبهة الشرقية على طول امتدادها من بحر بارنتس الى البحر الاسود مستخدمة في ذلك ٢١٧ فرقة و٢٠ كتيبة منها ١٧٨ فرقة المانية و٨ كتائب واربعة اساطيل جوية . وفي غياب قيام الجبهة الثانية استطاعت القوات الالمانية ان تستخدم في المعركة ضد الاتحاد السوفياتي ٨٠ بالمئة من قواتها و٢٠ بالمئة من الجبهات والبلدان الاخرى خارج الاتحاد السوفياتي .

وفي ايار عام ١٩٤٢ كان يحشد العدو على الجبهة السوفياتية الالمانية قرابة ٦ ملايين وربع المليون جندي بينهم ما يزيد عن ٨٠٠ الف من دول المحور ، تساندهم ٣٢٣٠ دبابة ومدافع الية و٥٦٩٤٠ موقعا ومدفع هاون و٣٣٩٥ طائرة . كان الالمان يتفوقون علينا بعدد الجنود والمدفعية وتفوقنا عليهم قليل بعدد الدبابات الا انها ادنى نوعية من دبابات العدو .

في مخططها العام دعت قيادة هتلر الستراتيجية السياسية الى هزم القوات السوفياتية في الجنوب واحتلال القوقاس والتقدم نحو نهر الفولغا والاستيلاء على ستالينغراو استرخان في اطار محاولة خنق الدولة السوفياتية . وبالرغم من التفوق الالماني بالعدد والعدة فان القيادة الهتلرية

اخذت في الحسبان انها لن تستطيع في عام ١٩٤٢ شن هجوم عام في آن معا على القطاعات الستراتيجية السوفياتية كما كانت تفعل عام ١٩٤١ في عمليات بربروسا او التمشيط الشامل ان توزع القوات النازية من بحر بارنتس الى البحر الاسود قلل من فعالية عملياتها العسكرية وخفضت كثافتها على طول الجبهة . وقد احدثت القيادة الالمانية سلسلة من الاجراءات الجذرية استطاعت بفضلها ان تحشد قوة مركزية في الجنوب فاقت قوتها قوتنا في القطاع الجنوبي الغربي من الجبهة . وفي بلاغه رقم ٤١ المؤرخ ٥ نيسان ١٩٤٢ دعا هتلر قواته الى الاستيلاء على المناطق الزراعية والصناعية من الاتحاد السوفياتي لتأمين الموارد البترولية في القوقاس مثلا وتأمين مواقع ستراتيجية هامة تساعده على تحقيق اهداف عسكرية وسياسية . وفي حال استطاع هتلر امتلاك الجنوب فسيتخذه قاعدة لاعادة الكرة على لينينغراد وموسكو . ومن ضمن الخطة الهتلرية لاحتلال القوقاس عزل الاتحاد السوفياتي عن الاتصال بحلفائه .

في ربيع عام ١٩٤٢ مكثت وقتا طويلا في مقر القيادة العليا وعلمت كيف كان ستالين يزين الوضع الراهن والتطورات المقبلة في عام ١٩٤٢ . وكان من الواضح انه لم يرتح الى تطمينات تشرشل وروزفلت من فتح جبهة اخرى في اوروبا وانه كان يثق بروزفلت اكثر من تشرشل ويعتبر الاخير ضد الاتحاد السوفياتي في اعماقه . وعليه بات ستالين قلقا من محاولة الالمان شن هجوم اخر على موسكو في صيف ١٩٤٢ وعلى القطاع الجنوبي منها . وكان العدو قد حشر في قطاع موسكو ما يربو على ٧٠ فرقة . وبالنسبة الى مخطط الربيع والصيف من عام ١٩٤٢ كان يعتقد

ستالين ان قواتنا لا تستطيع القيام بهجوم مضاد نظرا لما تفتقر اليه عددا وعدة وبات علينا ان تتخذ مواقع دفاعية محصنة • اما في منطقة القرم فباستطاعة قواتنا ان تشن بعض الهجمات احيانا وكذلك في قطاعات خاركوف ولكوف ــ كورسل وسمولنسك ولينينغراد وميانسك •

لقد علمت ان شايوشنيكوف رئيس الاركان العامة يوافق ستالين على الخطة الموضوعة ولكن يفضل قبل الشروع بالهجوم اقامة تحصينات جديدة قوية تساعد على انهاك العدو قبيل الصيف في حال استطاع صد هجومنا وجد في اثرنا فنتراجع الى هذه المواقع المحصنة وانهاك قواته فيها • ووافقت بدوري على ان نقوم بتفريق تجمعات العدو في قطاع رجيف ــ فايز ما قبل حلول الصيف لان القيادة العليا وتشاطرها رأيها الاركان العامة كانت قلقة من محولة العدو شن هجوم على قطاعي اوربل وتيولا وكورسك ــ فودونيج والمشارفة على موسكو من الجنوب الغربي • وعليه تقرر حشد قوة كبيرة من احتياط القيادة العليا في جهة براينسك في نهاية الربيع • وفي منتصف ايار عززت هذه الجبهة باربع كتائب دبابات و٧ فرق رماة و١١ كتيبة رماة مستقلة و٤ كتائب دبابات مستقلة وعدد ضخم من المدفعية • وتمركزت كذلك قوات احتياط القيادة العليا من اللواء الخامس في مؤخرة جبهة براينسك لصد الالمان في حال هجومهم على هذه الجبهة • لقد وافقت مبدئيا على اراء ستالين الستراتيجية الا انني عارضته في شن هجمات مضادة متفرقة على اجنحة جبهات العدو على اساس انه ليس من الحكمة ان نستنفد طاقاتنا الاحتياطية في هجمات جانبية اذ انه يصعب علينا بعدها شن هجوم عام

مركز • واقترحت كبديل شن هجوم مركز على العدو في قطاع رجيف ـ فايزما بمساندة قوات الجبهتين الغربية وكالينين تحت تغطية جوية مـن قوات القيادة العليـا وقوات موسكو وقوات الجبهة الشمالية الغربية • وفي نظري ان هجوما كهذا غربي موسكو سيضعف العدو ويضطره الى وقف عمليات هجومه مؤقتا او على الاقـل في المستقبل المنظور ، ومن ناحية اخرى فقد يكون رأيي هذا مجالا للمناحرة والجدل انمـا كنـت مقتنعا بصوابه باعتبار انه لا تتوفر لدينا معلوما تحسية عن نوايا العدو الحالية ومخططاته المقبلة •

ونظرا لتعقيدات الموقف وغموضه دعا ستاليـن في نهاية اذار الـى عقد مؤتمر في مقر لجنة الدفاع القومي لبحث الموقف واتخاذ التدابيـر الكفيلة بانجاح الهجوم الصيفي • وحضر الاجتماع كـل من كوروشيلوف ونجدشتكو وشايوشنيكوف وفاسيلفسكي وباغراميان وانـا •

وقد عرض شايوشنيكوف تقريرا مفصلا عن الموقف عكس بصورة عامة اراء ستالين وتكهناته • ولكن بالنظر الى تفوف العدو العددي وعدم قيام الجبهة الثانية في اوروبا اقترح شابوشنيكوف اقتصار قواتنا على اتخاذ موقف الدفاع فـي الوقت الحاضر وفي المستقبل المنظور وفضـل حشد قوات الاحتياط الستراتيجية في القطاعات الوسطى من الجبهة باعتبارها حسب توقعـات هيئة الاركان العامة منطلـق عمليات العـدو العسكرية لصيف ١٩٤٢ •

كان شايوشنيكوف يبحث بعض القضايا التنظيمية في خطة الهجوم

التي وضعت صيغتها قيـــادة نجوشنيكو عندما قاطعه ستالين بقولــه : لا نستطيع الاستمرار في موقف الدفاع حتى يفاجئنا العدو بالضربة الاولى • يجب علينا ان نقوم بسلسلة هجمات وقائية لتعكير اجواء العدو واستنطاق نوايـــــاه •

ثم قال :جوكوف يقترح شن هجوم في القطاعات الغربية ونلتــزم الدفاع في سائر القطاعات • وفي رأيي ان هذا نصف الاجراء الواجــب اتخاذه • ثم تكلم نيموشنكو فقال ان قوات القيادة الغربية الجنوبية على استعداد لشن هجوم وقائي ضد العدو ويجب انفعل ذلك لعرقلة مخططات العدو للهجوم على الجبهتين الجنوبية والغربية والا فان العدو قد يكرر ما حققه في بداية الحرب • وبالنسبة الى الهجوم الوقائي على العدو مـــن القطاعات الغربية فقد ايد تيموشنكو رايي القائل بانهاك قوات العـــدو المواجهة لهذه القطاعات • ثم تكلمت مرة اخرى معارضا خطة الهجوم العام• رغم اعتراضه على القيـــام بهجمات وقائية متفرقـــة فقد لاذ شايوشنيكوف بالصمت المغلف حيال خطـــة الهجوم العام التي اصاغها ستاليـــن • وانهى ستالين المؤتمر بأمره القيادات تنفيذ خطة الهجوم على خطوط المواجهـــة على العدو في جميع القطاعات بصورة عاجلة • وهكذا عاد كـــل منا الى مقر قيادتـــه •

ومن نتائج احداث شهري ايار وحزيران ظهرت اخطاء القيادة العليـــا وعادت قواتنا المسلحـــة تعاني تجربة قاسية في الجنوب ، في نهاية ايلول فشل الهجوم على منطقة القرم بقيادة كوزلوف بعد خسائر فادحة • وامرت القيادة العليـــا قيادة الجبهة باتخاذ مواقع دفاعية ، وفي ٨ ايار حشد العدو

قواتــه الصاعقــة تساندها تغطية جويــة قوية وشن هجوما ناجحا على مواقعنا فاضطررنا الى الانسحاب وتخلينا عن مدينة كيرش • وقد عقدت هذه الهزيمة الموقف في سيفاستوبول التي كانت قد ناضلت بعنــاد خلال تشرين الاول • وبعد احتلال كيرش اصبحت سيفاسنوبول فــي متناول القوات الالمانية •وفي ٤ تموز تخلت قواتنا عن سيفاسنوبول بعد حصاردام تسعة اشهر كانت القوات السوفياتية البحرية قــد ناضلت نضالا بطوليــا واكتسبت مجدا خالدا مع سائر قطاعات الجيش هنــاك وسقطت منطقــة القرم بكاملها مما عقد الموقف السوفياتي العام وحسن مواقع العدو الذي اصبح الان وافر الاحتياط للتعزيزات عند الحاجــة وفي ٣ ايار شنــت الجبهة الشمالية الغربية هجوما على اللواء الالماني ١٦ في دميانسك واستمرت المعركة شهرا كاملا ولكنها فشلت رغم خسائر العدو الجسيمة •

وكنت قد تكلمت مع ستالين هاتفيــا عن جبهة منطقــة القرم واطلعته على الموقف في الجبهــة الجنوبية الغربية فقــال : هل علمت الان ايــن يضرنــا الدفــاع ؟

وتابع قائلا : يجب ان نعاقب كوزلوف ومخليس وكيولك بقساوته لاهمالهم ليكونوا عبرة للذين يماطلون ويتلكأون • تيموشنكو سيبــدأ هجومه قريبا • وسألني : هلا غيرت رأيك بخصوص خطتنا في الجنوب ؟ فأجبتــه انني لا زلت اشعر بضرورة خلق المتاعب للعدو في الجنوب ولكن بمناوشات جويــة ومدفعيــة لاستنزاف قوتــه ومن ثم تبــدأ الهجوم العــــام •

وفي ١٢ ايار شنت الجبهة الجنوبية الغربية هجوما باتجــاه خاركوف

انطلق من ناحيتين : منطقة فولشافسك ونافـذة يارفنكوفو • اسندت العمليـات العسكرية في يارفنكوفو الى الجبهة الجنوبية واغفلت الجبهـة الغربية الجنوبية خطر طنشاد قوات العدو في كراماتورسك عند طـرف النافذة • وتمكنت قوات الجبهة مـن اختراق خطوط دفاع العدو مـن نافذة يارفنكوفو وتقدمت نحوا من ٣٠ ميلا في ثلاثة ايام وتوقفت عندها • وفي صبيحة ١٧ ايار شنت ١١ فرقـة الحاشية من مجموعة كلايست هجوما في قطاع سلافيانسك ـ كرامانورسك عند طرف نافذة بارفنكوفو علـى لواءي الجبهة الغربية التاسع والسابع والخمسين واقتحمت خطوط الدفاع السوفياتية فاخترقتها مسافة ٣٠ ميلا في يومين وانزلت اسفينا في خاصرة الجناح الايسر من الجبهة الغربية الجنوبية في يتروفسكوي • وكان ستالين في حديث مع يخوشنكو بحضوري قد اعرب عن قلقه من وجود الخطـر الالماني في قطاع كرامانورسك • ورأى المجلس العسكري بقيادة يخوشنكو ان الخطر الالماني المزعوم مبالغ فيه ولا يشكل مانعا جوهريا لوقف عمليـة خاركوف العسكرية ، وفي ذلك المساء بالذات بحث ستالين الامر مـع خروشوف عضو المجلس العسكري في الجبهة الغربية الجنوبية فأيد آراء يخوشنكو • وظلت قيادة هذه الجبهة على رأيها هذا حتـى ١٨ ايار • وفي مساء اليوم ذاتـه بدأ الموقف بالتدهور وكان مثار قلق عند الجنرال فاسيلفسكي نائب رئيس الاركان العامة الذي حاول عبثا اقناع ستاليـن وقف عملية خاركوف والاقتصار على استخدام هذه القوات في قطـاع يارفنكوخو لصد هجوم العدو الزاحف من كرامانورسك •

الا ان ستالين رفض اعتراض فاسيلفسكي مستشهـدا بتوصيـات قيادة الجبهة الغربية الجنوبية • ولذلك فان قول خروشوف بـأن المجلس العسكري للجبهة الجنوبية الغربية حذر ستاليـن من مغبة تنفيذ عمليـة

خاركوف مردود اساسا ولا يطابـق الواقـع • اقوال هذا دون مواربـة لانني كنت حاضرا اثنـاء حديث ستاليـن • وفي ١٩ ايار تفهـم المجلس العسكري خطورة الموقف واحتاط للامر ولكن بعد فوات الاوان • شـن الالمان هجومهم في ٢٢ ايار على اللواءين ٦ و٥٧ وقسم من اللواء العاشر ومجموعـة يوبكش للعمليات العسكرية وطوقها جميعا • وقد استطاعت بعض وحدات المحاصريـن الافلات من الحصـار وقضى البعض الاخـر بجيوشها وقادتها ولم تسلم •

عندما نحلل فشل عملية خاركوف نـرى ان السبب الحقيقي للفشل هو عدم معرفـة تقييم العدو الرابض في الجنوب وتقصيرنا في الاحتياط للامر بتوزيـع قوات احتياطية على طول مؤخرة الجبهة لافساد عمليـات التطويق على العدو • لو فعلنـا ذلك لكنا اجتنبنا الكارثة الرهيبـة هذه في صيف ١٩٤٢ • كان القتال لا يزال عنيفا في القطاع الجنوبي الغربي من الجبهة والالة الالمانية تضغط علينا فانسحب ما تبقـى من قواتنـا الـى نهر اوسكول حيث حاولت بناء خط دفاع • وفي ٢٨ حزيران انطلق العدو بهجوم اوسع من منطقـة كورسك باتجـاه فورونيج ضد لواءي جبهـة براينسك ١٦ و٤٠ • وفي ٣٠ منه شن اللواء ٦ الالماني هجوما اخر انطلق من منطقة فولشانسك باتجـاه اوستروغوجسك ضد اللواءين ٢١ و ٢٨ واخترق خطوطهما الدفاعية فتدهور موقفنا العسكري في فورونيج ووقعت بعض قواته بالفخ المشؤوم ، واورد فيما يلي ما قاله الماريشال فاسيلفسكي عن هذا الوضع آنذاك في مذكراته !

تدهور الموقف في منطقة فورونيج مساء الثاني من تموز • كـان العدو قد اخترق خطوطنا الدفاعية عند نقطة التقاء جبهتي براينسك والجبهة الغربية الجنوبية الى مسافة خمسين ميلا باتجاه فورونيج على نهر الدون•

فتنبهت القيادة العليا للخطر وارسلت الينا لواءي احتياطها ٦ و ١٦ فوضعنا هذه القوة على خط دفاع بين زادونسك وبافلوفسك على الضفة اليمنى من استرالدون • وفي اليوم ذاته كان لواء الدبابات الخامس قد نقل ايضا الى جبهتنا في براينسك لانضمامه الى وحدات الدبابات لضرب مؤخرة العدو في خاصرتيه اثناء زحفه الى فورونيج • الا ان لواء الدبابات هذا لم يتلق اوامر من قادته للشروع بعملياته العسكرية على النطاق المفروض والمستوى المطلوب • فذهبت الى يلتتس بنفسي لاستعجل عمليات اللواء الخامس في المؤخرة على طول الجبهة • بيد ان الموقف كان يتدهور بسرعة ولم نستطع انجاز ما خططنا له بسبب فشل القادة اذ لم يكونوا حينئذ على مستوى تلك الجبهة • وعليهقررت القيادة العليا شطر جبهة براينسك الى الى شطرين واصبحت فورنيج جبهة جديدة بقيادة فاتوشن وخلف روكوسوفسكي الجنرال غوليكوف في قيادة جبهة براينسك •

ان الالوية ٦ و ١٦ ولواء الدبابات ٥ من احتياط القيادة العليا ، بعد انضمامها الى الجبهتين الجديدتين قد ساعدت نوعا ما على تحسينخطوط الدفاع في قطاع فورونيج • الا ان خطر العدو ما زال جاثما باحتمال عبوره النهر الى الضفة اليمنى باتجاه ستالينغراد ، ونظرا لهزيمة قواتنا في منطقة القرم وبارفنكوفو وحوض الدون وقرب فورونيج تمكن العدو من القبض على زمام المبادرة وبدأ يتقدم نحو نهر الفولغا ومنطقة القوقاس بعد ان استقدم تعزيزات احتياطية ضخمة • وفي منتصف تموز كان العدو قد قذفقواتناعبر نهر الدونمن فورونيج الىكلاتسكايا من سوروفيكينو الى روستوف وصلي معركة حامية الوطيس في منعطف نهر الدون محاولا شق الطريق الى ستالينغراد •

-٦-

أزمة ستالينغراد

بالنظر الى تراجعنا الاضطراري امام ضغط العدو واستيلائه على نهر الدون وحوض الدونتس بدأنا نواجه الخطر الافظع وهو زحف العدو الى نهر الفولغا وشمالي القوقاس واستيلائه على السهل الكوباني الذي هو صلة الوصل بين القوقاس الغني بالبترول وبين مرافق البلاد الحيوية. فاذا سدت منافذ الوصول اليه تتوقف لدينا المصانع والالة الحربية وتنشط عند العدو . وعليه اصدر القائد الاعلى بلاغه رقم ٢٢٧ اتخذت بموجبه اجراءات جذرية لتصفية مثيري المخاوف والمخلين بالامن والنظام والانهزاميين الذين تحركوا من مخابئهم في هذه الفترة العصيبة ودعم هذه الاجراءات نشاط سياسي حاد قامت به اللجنة المركزية للحزب الشيوعي .

لقد تكبدت قوات الجبهة الغربية الجنوبية خسائر جسيمة اثناء انسحابها من خاركوف ولم تستطع ايقاف زحف العدو باتجاه القوقاس . وما اصاب هذه الجبهة قد اصاب الجبهة الجنوبية هي الاخرى . ومحاولة

منها لمنع العدو من الوصول الى نهر الفولغا فتحت القيادة العليا جبهة ستالينغراد الجديدة في ١٢ تموز وحشدت فيها قوات اللواء ٦٢ بقيادة الميجر جنرال كولباكشي واللواء ٦٣ بقيادة اللفتننت جنرال كوزتشوف واللواءين ٦٤ و ٢١ من الجبهة الغربية الجنوبية التي صفيت في ٢٣ حزيران الماضي بعد سقوط اهدافها وانتقل اعضاء مجلسها العسكري الى جبهة ستالينغراد الجديدة التي تقرر تعزيزها بلواءي الدبابات الاول والرابع المئوي تشكيلهما في القريب العاجل وبما تبقى من عناصر وحدات الالوية ٢٨ و ٣٨ و ٥٧ ٠ ووضع اسطول الفولغا الصغير تحت قيادة هذه الجبهة ٠

بدأت التحصينات واقامة الحواجز والخنادق لاعداد خطوط دفاع قوية تماما كما حدث في موسكو سابقا ٠ وسارعت لجان الحزب في المدينة والاقاليم الى تنظيم المواطنين في فرق ميليشيا للمقاومة الشعبية من عمال كادحين ومختلف عناصر الشعب ونشطت كذلك في تنظيم واعداد الانتاج اللازم للجبهة واخليت المدينة من الاطفال والعجز والموجودات القيمة ٠ وفي ٢٧ تموز كانت جبهة ستالينغراد قد جهزت خط دفاع متين يمتد من مدينة بافلوفسك على الضفة اليسرى من نهر الدون الى سيرافيموتش وكلاتسكايا عبر الجنوب الى سوروفيكينو وفيرخني ــ كورمويارسكايا ٠ وفي هذه الاثناء كانت الجبهة الجنوبية اثناء انسحابها قد تكبدت خسائر لا تعوض ٠ وكان تعداد جنود ألويتها الاربعة حوالي ماية الف رجل ٠ وعليه قررت القيادة العليا الغاء هذه الجبهة والحقت ما تبقى من قواتها بجبهة شمالي القوقاس بقيادة الماريشال يوديني ٠ وتولى اللواءان ٣٧ و ١٢ من جبهة شمالي القوقاس الجديدة حماية قطاع كراسنودار ٠ وفي نهاية تموز كانت هذه الجبهة تتألف من ٥ ألوية تضم

٣٨ فرقة منها ١٦ متوسطة و ٢٢ صغيرة بلغ تعدادها جميعا ١٨٧ الـف مقاتل و ٣٦٠ دبابة و ٣٣٧ طائرة و ٧٩٠٠ مدفع ومدفع هاون على جبهة طولها ٣٣٠ ميلا ويقابلها من الجانب الالماني ٢٥٠ الف مقاتل و ٧٤٠ دبابة و ١٢٠٠ طائرة و ٧٥٠٠ مدفع ومدفع هاون . ونظرا للمقاومة البطولية التي واجهها العدو على مشارف ستالينغراد حول لواء دباباته الرابع من القوقاس الى كوشلنيكونو لشن هجوم منها بعد ان تلقى تعزيزات من دول المحور والبلدان المحتلة .

صدر بلاغ القيادة الهتلرية رقم ٤٥ تتحرك بموجبه قوات المجموعة « ب » لتغطية جناحها الشمالي على محاذاة وسوط نهر الدون (حيث تمركزت قوات هنغارية وايطالية ورومانية) في محاولة لاسقاط ستالينغراد واسترخان واقامة قاعدة لها على نهر الفولغا فاصلة بذلك القوقاس عن جسم الاتحاد السوفياتي ويساندها الاسطول الجوي الرابع وقوامه ١٢٠٠ طائرة لتحقيق هذا الهدف .

وفي ٢٦ تموز تمكنت آليات هتلر المدرعة من اختراق خطوط دفاع اللواء ٦٢ في حوض نهر الدون وبلغت النهر في منطقة كامنسكي شمالي كلاش . فأمرت القيادة تعزيز الجبهة بلواءي الدبابات الاول والرابع وقوامهما ٢٤٠ دبابة وفرقتا رماة . لم تستطع هذه التعزيزات ايقاف العدو الا انها خففت سرعة انطلاقه الى حد ما . لم يكن من المرغوب في اللجوء الى استخدام وحدات غير مدربة لسد ثغرات النقص في قواتنا على مسالك المدينة . ولم يكن لدى القيادة العليا ما تفعله تجاه هذا النقص . ونظرا للصمود البطولي الذي فرضته قوات اللواء ٦٤ لم يستطع العدومن الدخول الى المدينة بصورة متوافدة . وبالنظر الى امتداد جبهة

ستالينغراد (٤٠٠ ميل فما فوق) قررت القيادة العليا في ٥ آب شطرها الى جبهتين : جبهة ستالينغراد والجبهة الجنوبية الشرقية . الاولى بقيادة اللفتننت جنرال غوردوف الذي كان قد خلف الماريشال تيموشنكو في ٢٣ تموز ويرئس هيئة الاركان الميجر جنرال تيكيشيف ، وتألفت من الالوية ٦٣ و ٢١ و ٦٢ بالاضافة الى لواء الدبابات الرابع والاسطول الجوي ١٦ المنوي استجماعهما بقيادة الميجر جنرال رودنكو . وتألفت الثانية من الالوية ٥٧ و ٥١ و ٦٤ بالاضافة الى لواء الحرس الاول ولواء الاسطول الجوي الثامن بقيادة الكولونيل جنرال يرمنكو ويرئس هيئة الاركان الميجر جنرال زخاروف (واحتفظ خروشوف بعضوية المجلسين العسكريين للجبهتين معا) .

وفي ١٢ آب انتدبت لجنة الدفاع القومي الكولونيل جنرال فاسيلفسكي (رئيس الاركان العامة الحالي) للقيام بتنسيق عمليات ستالينغراد العسكرية ووضعت جبهة ستالينغراد قانونيا تحت سلطة يرمنكو قائد الجبهة الجنوبية الشرقية ـ وبعد قتال مرير تمكنت فرقة دبابات العدو ١٤ من كسر طوق الدفاع السوفياتي في قطاع فيرتياشي على نهر الدون في ٢٣ آب وشطرتقطاع ستالينغراد الىشطرين وتوصلت على نهر الفولغا في منطقة لاتوشنكاوينولا شمالي ستالينغراد ففصلت اللواء ٦٢ عن جبهة ستالينغراد . وعليه نقل هذا اللواء الى قيادة الجبهة الجنوبية الشرقية .

وقامت قاذفات العدو بغارات وحشية قصفت فيها المدينة وحولتها الى ركام من بقايا المعامل والمصانع والمؤسسات الاجتماعية والمعاهد التربوية ومن حجارة المنازل المهدمة على رؤوس ساكنيها من المدنيين

الابرياء • وفي صبيحة ٢٤ آب قامت وحدات من لواء الدبابات ١٤ بفتح نيران مدافعها في هجوم وحشي على مصنع للجرارات في الحي الشمالي من المدينة الا أنها لم تستطع الدخول اليه بفضل مقاومة الابطال من عمال ستالينغراد المسلحين • وفي الوقت ذاته قامت جبهة ستالينغراد التي كانت قد انسحبت نحو الشمال الشرقي بشن هجوم مركز من الشمال على اسفين العدو في نهر الفولغا في مناورة ناجحة لالهاء قسم كبير من قواته الزاحفة الى ستالينغراد • وفي الواقع تمكنت قواتنا من فصل فرقة دبابات العدو ١٤ عن جسم لوائها بضعة ايام • وكان العدو يمون فرقته المعزولة هذه من الجو • ولكن بعد ان اجتاز العدو نهر الدون بقواته الرئيسية تمكن من شن هجوم اعنف على المدينة بمساندة اسطوله الجوي القوي •

وفي ٣٠ آب اضطرت قوات الجبهة الجنوبية الشرقية الى التراجع امام الضغط الالماني المتزايد واللجوء الى ما يسمى بحلقة الدفاع الخارجي وحلقة الدفاع الداخلي • (الاولى تعني قوات الدفاع المتحركة او المتنقلة والثانية تعني قوات الدفاع المعتصمة في منطقة او مدينة معينة لا تبارحها ــ المترجم) • حاول اللواءان ٦٢ و ٦٤ اتخاذ خط دفاع لهما على مشارق ستالينغراد الغربية يمتد من وينولا واورلوفكا الى غومرالا وبيشانكا حتى ايفانوفكا • وكان يقود قوات اللواء ٦٢ حينئذ اللفتننت جنرال لوباتن • فبالرغم من تفوق العدو عددا وعدة استطاع هذا القائد ان يعرقل سرعة مسير العدو نحو المدينة • وقد ارتأى لوباتن بحكمته العسكرية ان يدخر لواءه الذائع الصيت لعمليات القتال داخل المدينة

(ضمن مخطط حافة الدفاع الداخلي) • (في اطار مخطط الدفـــاع الخارجي) •

خلال الايام العصيبة في ستالينغراد قررت القيادة العليا شن هجوم على العدو غربي موسكو في مناورة لاشغال العدو في هذه الجبهة ومنعه من ارسال تعزيزات الى قواته التي تحاصر ستالينغراد •

اما على الجبهة الغربية بقيادتي يومذاك فقد قام جنـــاح اللواء ١٦ الايسر يعاونه الجناح الايسر للواء ٦١ بشن هجوم على العدو في ١٠ تموز انطلق من قطاع كيروف ــ بولكوف باتجاه براينسك • وفي الوقت ذاته تحرك الجناح الايمن للواء عشرين يسانده الجناح الايسر لجبهة كالينين باتجاه يوغورلوي ــ غوروديش محاولا دحر العدو في قطاع سايشفكا ــ رجيف • وقد فشل الهجوم عند اصطدامه بخطوط الدفاع الالمانية القوية ولم تستطع قواتنا استعادة مدينة رجيف من العدو • لقد تكبد الالمـــان خسائر جسيمة في هذه المعركة مما اضطرهم الى استخدام قوات كبيرة من التعزيزات المعدة للحملة على ستالينغراد والقوقاس • وبهذا الصدد قال الجنرال والمؤرخ الالماني تيلسكرش : في هذا الهجوم توقفت قواتنا المعدة للجنوب وانشغلت مع باقي الوحدات في الجبهة في معركة حامية الوطيس مع القوات السوفياتية المهاجمة بقصد الهائنا وشل عملياتنا في الجنـوب تحضيرا لشن هجوم عام على جبهتنا •

لو كان تحت تصرفنا لواءان آخران لكنا هزمنا العدو بمساندة جبهة

كالينين لا في قطاع رجيف فحسب بل في كامل قطاع رجيف ـ فالاما الواسع ولكان موقفنا العسكري قد تحسن على طول الجبهة غربي موسكو . كانت قواتنا محدودة جدا ذلك الوقت . وفي ٢٧ آب بينما كنت اقود هجوما في منطقة يوغورلوي ـ غوروديش تلقيت مكالمة من يوسكريبشيف (رئيس امانة سر ستالين) يخبرني فيها انه بالنظر الى الموقف المتدهور في الجنوب قررت لجنة الدفاع القومي في ٢٦ آب تعييني قائدا اعلى بالوكالة . وقال يوسكريبشيف انه يجب ان اكون في مركز عملي بعد الظهر عند الساعة ٢ حيث انتظر مكالمة من ستالين وقد سألته (يوسكريبشيف) عن الاسباب وما يدور حول هذا التعيين فقال انه لا يعرف وعلي ان أنتظر ستالين . ومن حديثي معه فهمت ان لجنة الدفاع القومي كثيرة القلق حول مصير ستالينغراد وتطورات الموقف بشكل عام . ولم يطل الوقت حتى كلمني ستالين هاتفيا بواسطة الخط السري المأمون وسألني عن الموقف في الجبهة الغربية ثم طلب مني ان احضر حالا الى مقر القيادة العليا وان اعين مكاني رئيس الاركان او من اراه جديرا بالقيادة . وبهذا انهى ستالين الحديث ولم يأت على ذكر تعييني قائدا اعلى بالوكالة . كان يدخر ذلك لاجتماعي به شخصيا اذ انه كان يقصر محادثاته الهاتفية على الموجبات الهامة الراهنة . وكان يطلب منا ان نحاذر استعمال الهاتف في منطقة العمليات العسكرية حيث لم تتوفر لدينا آلات الالتقاط . توجهت الى موسكو دون ان اعود الى مقر قيادة الجبهة ووصلت الكرملين في ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم فوجدت بعض اعضاء لجنة الدفاع القومي هناك . ودخلت مكتب ستالين للحال بعد ان اعلن بوسكريبشيف

عن وصولي ، قال ستالين أن الوضع سيء للغاية في الجنوب وقد يحتل العدو مدينة ستالينغراد ولم تكن الحال بأحسن منها في شمالي القوقاس ، قررت لجنة الدفاع القومي تعييني قائدا اعلـــى بالوكالة وارسالي الـــى ستالينغراد • وقد سبقني الى هناك فاسيلفسكي ومالنكوف (عضـــو المكتب السياسي) وماليشيف (مفوض التسليح) وكان على مالنكـوف ان يبقى معي ويعود فاسيلفسكي الى موسكو • وسألني ستالين : متـى تستطيع الذهاب ؟ قلت : خلال يوم واحد بعد ان ادرس الموقف •

وفي تقرير مقتضب اطلعني ستالين على الموقف في الجنوب ثم قال انه قرر نقل الالوية ٢٤ و ٦٦ ولواء الحرس الاول الى جبهة ستالينغــراد (الاول بقيادة كوزلوف والثاني بقيادة مالينوفسكـي والثالث بقيــادة موسكالنكو) • ينقل لواء الحرس الاول الى لوزنوي شمالي ستالينغراد ليشن من هناك هجوما في ٢ ايلول على اسفين العـدو في نهر الفولغا في محاولة للالتحاق باللواء ٦٢ • ثم طلب مني ان انزل اللواءين ٢٤ و ٦٦ الى المعركة ويقوم لواء الحرس الاول بتغطية هـذا الانزال والا فقد نخسر ستالينغراد • وعليه بات من الواضح لدي ان معركة ستالينغراد لها اهمية كبرى عسكريا وسياسيا وسقوط المدينة يعني عزل الجنوب عن سائـــر اعضاء البلاد • ونخسر كذلك بوابة الممر المائي في نهر الفولغا وسيلة النقل الكبرى من القوقاس الى سائر انحاء البلاد •

كانت القيادة العليا قد نقلت الى جبهة ستالينغراد كل ماتملكه وجعلته

تحت تصرفها ما عدا الاحتياط الستراتيجي المستجمع حديثا والمدخر للعمليات الحربية والانقاذ عند مساس الحاجة . واتخذت اجراءات عاجلة لزيـادة انتاج الطائرات والدبابات والمدافع والذخيرة والتموينات الاخرى بحيث تكون جاهزة في الوقت الحاسم لدحر قوات العدو التي استطاعت الوصول الى ستالينغراد .

- ٧ -

المعركة تحتدم

غادرت مطار موسكو المركزي في ٢٩ آب وحطت طائرتنا قـــرب كاميشن (على نهر الفولغا شمالي ستالينغراد) • اجتمعت للفور بالماريشال فاسيلفسكي فأطلعني على آخر التطورات ثم ذهبنا معا الى مقر قيادة جبهة ستالينغراد في مالايا ـ ايفانوفكا واجتمعنا هناك بالجنـــرال غوردوف وبرئيس الاركان العامة نيكيشيف ورئيس العمليات الحربية روخل حيث بحثنا جميعا الموقف بصورة عامة وخرجت من الاجتماع قلقا حول مصير ستالينغراد المحاصرة : وكان قد قدم اقتراح بدمج قوات الالوية الثـلاث تحضيرا لهجوم مضاد قبل حلول ٦ ايلول • فاتصلت بستالين بواسطـة الخط السري المأمون وابلغته قرارنا هذا فوافق •

عاد الماريشال فاسيلفسكي الى موسكو كما كان مقررا •

لم يستطع لواء الحرس الاول شن الهجوم في ٢ ايلول نظرا للنقص

الذي يعانيه في وقود آلياته وبسبب عدم استعداده الكامل لهذا الهجوم. فأمرت بتأجيل الهجوم الى اليوم التالي بناء على اقتراح تقدم به الجنرال موسكالينكو • وفي تقريري الى القيادة العامة قلت :

لم يستطع لواء الحرس الاول ان يشن هجومه المقرر في ٢ ايلول بسبب عدم تمكن قواته من الوصول الى مواقعها في الوقت المحدد ناهيك عن النقص في الوقود اللازم للاليات وعدم استعداده الكامل لمثل هذا الهجوم • وعليه فقد قررت تأجيل الهجوم الى ٣ ايلول محاولة مني لتجنيب قواتنا خسائر فادحة بعد ان اطلعت على الوضع ورأيته خطيرا للغاية • اما قوات اللواءين ٢٤ و ٦٦ فقد تقرر ان تقوم بهجومها بين ٥ و ٦ ايلول • وقد بدأ قادة هذين اللواءين بصوغ خطة الهجوم والاجراءات الممكن اتخاذها لتأمين عمليات التموين لهذه القوات •

وفي صبيحة ٣ ايلول ، بعد قصف بالمدفعية مركز بدأت قوات لواء الحرس الاول بهجومها الا انها لم تستطع ان تتقدم اكثر من بضعة اميال باتجاه ستالينغراد فعرقلت الى حد ما سرعة زحف العدو الى المدينة •

وفي اليوم ذاته تلقيت البرقية التالية وهي تحمل توقيع ستالين :

ان الموقف في ستالينغراد يتدهور بسرعة • والعدو يقبع على مسافة ميلين منها • وقد تسقط المدينة بين يوم وآخر اذا لم تهب القوات المرابطة في القطاع الشمالي الى النجدة الفورية • فالمطلوب الان ان تؤمر هذه القوات بالهجوم فورا على العدو لعرقلة مسيره نحو المدينة • لن

يسمح مطلقا بتأخير هذا الهجوم اذ ان التأخير يعني الكارثـــة • يجب استخدام القوات الجوية الى اقصى حد •

اتصلت بستالين هاتفيـا واخبرته انه باستطاعتي ان اقوم بالهجوم في صبيحة اليوم التالي الا ان القوات المندمجة ستقوم بهجوم رغم النقص الذي تعانيه في الذخيرة وهذا امر خطير للغاية كما تعلم • فالمرجو الان السماح بتأجيل هذا الهجوم الى ان تكتمل الاستعدادات والتجهيزات المطلوبة للهجوم المقترح •

قال ستالين : اتظن ان العدو سيمهلك كي تعد نفسك للمعركـة ؟ والقائد يرمنكو يصر على القول بان العدو سيستولي على المدينة في المحاولة الاولى عندما تسمح الفرص الا اذا ضربنـاه من الشمـال وقد اجبته انني لا اشاطر القائد رأيه واصر على ان يبدأ الهجوم كما وضعت له الخطة في الخامس من ايلول • وبالنسبة الى استخدام القواتالجوية فانني سأصدر الاوامر حالا للبدء بعمليات قصف العدو من الـوراء • قال ستالين : لا بأس ولكن اذا شن العدو هجوما عاما فعليك ألا تنتظر التحضيرات المشار اليها آنفا • عملك الاول هو منع العدو من الاستيلاء على المدينة واذا امكنعزله من النافذة المرابطة فيها بينستالنغراد والجبهة الجنوبية الشرقية •

وفي فجر ٥ ايلول قامت الالويـة ٢٤ و٦٦ ولواء الحرس الاول بهجوم مركز على طول جبهة العدو تساندها المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات ومدافع الهاون والقوات الجوية الا ان كثافة المدفعية لم تكن كافية لفتح ثغرات في قطاع العدو ولهذا فشلنا في تحقيق الغايةالمنشودة

بدأ هجومنا الارضي باطلاق صواريخ كاتيوشكا وقد راقبت العمليات العسكرية هذه من برج المراقبة في مقر قيادة الحرس الاول وعلمت ان نيراننا لم تستطع اختراق جبهة العدو التي تعززها الآليات الضخمة •

وبعد ساعات تمكن العدو من ان يشن علينا هجوما مضاداتساندە قوات ضخمة من المدفعية والمشاة والمدرعات الآلية ويزحف باتجاه غومراك واورلوفكا وبولشايا ـ روسوشكا على مشارف ستالينغراد الغربية وقامت كذلك قاذفاته بقصف مواقعنا بصورة مستمرة • ثم عزز العدو قواته المهاجمة فاضطررنا الى التراجع الى مواقعنا السابقة • هدأت المعركة عند المساء فقمنا باستعراض النتائج • كانت قواتنا قد تقدمت حوالي ميلين فقط • اما قوات اللواء ٢٤ فقد بقيت في مواقعها ولم تستطع التقدم • وفي المساء نفسه كلمني ستالين هاتفيا وقال : كيف الموقف في ستالينغراد الان ؟ فاطلعته على نتائج ذلك اليوم واخبرته ان العدو كان قد حول قسما من قواته في غوفراك الى جبهة ستالينغراد الشمالية • قال ستالين : هذا عظيم انه لخدمة كبيرة للمدينة • وقلت له: ان قواتنا لم تستطع التقدم الا قليلا • فقال : لماذا ؟ قلت : لانه لم يتوفر لدينا الوقت الكافي للتحضير للمعركة ولاننا لم نستطع تعيين مواقع العدو الممكن اختراقها ناهيك عن تفوق العدو في القوات الجوية • قال ستالين : عليك ان تستمر بالمعركة • عملك الوحيد هو تحويل انظار العدو عن مدينة ستالنغراد •

وفي اليوم التالي احتدمت المعركة من جديد وقامت طائراتنا ليلا بقصف مواقع العدو تساندها بذلك قاذفاتنا البعيدة المدى بقيادة اللفتينانت جنرال غولوفانوف الذي كان معي في مقر قيادة لواء الحرس

الاول• وفي ٦ ايلول استقدم العدو قوات جديدة من الدباباتوالمدفعية الآلية وركزها على مرتفعات ستراتيجية تشرف على مواقعنا بوضوح • ونظرا لافتقارنا الى مثل هذه الاليات لم نستطع الرد عليها وبات موقفنا لا يدعو الى الارتياح •

قمت بجولة لتفقد قوات خطوط المواجهة وخرجت بالاستنتاج انه ليس باستطاعتنا اخراج العدو من النافذة بين ستالينغراد والجبهة الجنوبية الشرقية الا اذا توفرت لدينا التعزيزات اللازمة مع عتادها الكامل • ورأيت كذلك انه ليس من الممكن ان تحقق هجماتنا المنفردة اهدافها الا اذا شنت قواتنا في جميع القطاعات هجوما موحدا مركزا • فطرت تلك الليلة الى موسكو لاطلاع ستالين شخصيا على الوضع والتفاهم معه حول ما يجب اتخاذه من اجراءاتوتدابير عسكريةللحيلولة دون وصول العدو الى المدينة قبل فوات الاوان • اجتمعت بستالينوكان قد اطلعه فاسيلفسكي عن اتجاهات تحرك العدو واحتمال احتلالهغروزني مركز اعمال البترول ، فسألني عن الموقف في ستالينغراد وعن اخر التطورات على الجبهة • فرددت له ما كنت قد حدثته به على الهاتف واضفت ان العدو قد تمركز في الوهاد والمنعطفات وجعل المرتفعات على يمينه ويساره قواعد لمدفعيته البعيدة المدى • ثم قال ستالين : ماذا تحتاج اليه ستالينغراد لاخراج العدو من المجال الذي يفصل قوات ستالينغراد عن قوات الجبهة الجنوبية الشرقية ؟ فقلت : يلزمنا على الاقل لواء واحد وفرقة دبابات وثلاث كتائب مدرعات و٤٠٠ مدفع رشاش بالاضافة الى لواء طيران كامل العدة والعدد لتغطية عملياتنا العسكرية اثناء الهجوم • وقد ايدني فاسيلفسكي فيما قلت •

وبعد صمت طويل قال ستالين : من المستحسن ان تتصلوا بهيئة الاركان العامة للبحث والتدارس • سنجتمع مرة اخرى غدا في الساعة التاسعة • ثم انصرفت برفقة فاسيلفسكي واختلينا في احد الاماكن للبحث والتفتيش عن مخرج من أزمة الموقف الحالي في ستالينغراد • وبعد انقضاء وقت طويل توصلنا الى وضع خطة موحدة لشن هجوم عام مركز على العدو بعد اعداد دقيق له وبعد ان تكون صناعاتنا قد أنتجت مزيدا من الطائرات والمدافع والذخيرة • والى ان يتم ذلك علينا ان نتخذ موقف المناوشات الدفاعية لاستنزاف قوة العدو • وفي اليوم نفسه اطلعنا القائد الأعلى على مضمون هذه الخطة •

ليس لدى العدو حاليا امكانات ضخمة من الاحتياط كي يتمكن من تعزيز جبهاته في ستالينغراد والقوقاس والفولغا اذ ان استعداداته لم تكتمل بعد للاجراءات التي يستهدفها لعملياته العسكرية لهذا العام • وستؤول مخططاته في الجنوب والجنوب الشرقي كما آلت اليه في معركة موسكو • ونحن نعلم تمام العلم ان لواء العدو السادس بقيادة فان باولس ولواء الاليات الرابع بقيادة هوث وكلاهما قوة ضاربة لن يتمكنا من الاستيلاء الكامل على المدينة بعد ان استنزفت قواتهما في قتال مرير خلال هذه المدة •

وبالمقياس نفسه فان قواتنا قد استنزفت كذلك وباتت لا تستطيع تحقيق اهداف هامة في حالتها الحاضرة ما لم تكتمل مرحلة تجهيز لواء الاحتياط بما سيتوفر من الاسلحة الحديثة • وتأمل القيادة العليا ان يتم ذلك خلال شهر ت٢ حين تصبح لدينا قوة ضاربة متحركة بفضل ما ستجهز به من دبابات ت ـ ٣٤ الذائعة الصيت • ان حرب الابادة التي

يشنها النازيون قد اكسبتنا خبرة ومناعة ومراسا قادة كنا ام ساسة ام جنودا وانكشف علينا العدو وبتنا نفهم كيف نواجهه ونقارعه .

وبالنسبة الى مقاومة العدو على خطوط المواجهة في ستالينغراد والجنوب فقد استطاعت استخبارات القيادة العليا ان تعين مواقع الضعف عند قوات المحور من هنغاريين ورومانيين وايطاليين . هذه القوات كانت اضعف من القوات الالمانية دفاعا وهجوما وخطة كما انها لم تر دافعا نفسيا للقتال والموت في المتاهات الروسية حيث ارسلها هتلر وموسوليني وانطوناسكو وهورتي وسائر القادة والفاشيست. ونظرا لنفاذ الاحتياط المدرب لدى العدو في قطاع نهري الفولغا والعدون ازداد موقفه تعقيدا هناك لا سيما بعد ان تمكنت قواتنا المعززة في هذا القطاع من تغليف مواقعه وتعريض قواته للتجميد وافساد عملياتها العسكرية رغم ضخامة الياتها المتحركة السريعة . وبهذا بات من الممكن لدينا ان نقيم جسورا من الاتصال بين قواتنا في جميع قطاعات الجبهة الجنوبية الشرقية .

وفي عشية ١٣ ايلول اتصل فاسيلفسكي بستالين وطلب منه موعدا للاجتماع به وعرض خطتنا الموسعة عليه . وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة اجتمعنا به حسب الموعد الذي ضربه لنا . فاستقبلنا مصافحا على غير عادته وقال : من سيقدم الخطة ؟ قلت اي منا لا فرق ، كلانا من نفس الرأي .

وبينما نحن نعرض تفاصيل الخطة عليه وهو يطرح علينا مجموعة من الاسئلة المحرجة، تلقى ستالين مخابرة هاتفية من القائد برمنكو يعلمه ان العدو يحشد قوات جديدة على مشارف المدينة ومن المتوقع انيشن

هجوما عاجلا خلال ٢٤ ساعة ، وعليه امرنا ستالين بان نعود الى مراكز عملنا فورا ويمكننا ان نبحث الخطة معه فيما بعد وحذرنا من ان نباحث احدا بخصوصها • وطلب منا كذلك ان نصدر الاوامر الى فرقة الحرس ١٣ بقيادة روديمتسيف بعبور نهر الفولغا صباحا واعلام غوردون وغولوفانوف للقيام بعمليات التغطية الجوية لهذا العبور ، ويجب ان تقصف مواقع العدو عبر النهر قبل تحرك قواتنا • طرت الى مقر قيادة جبهة ستالينغراد تلك الليلة وكان علي ان اعد تقريرا عن الموقف هناك • وفي عشية اليوم الثاني طار فاسيلفسكي الى مقر الجبهة الجنوبية الشرقي لدرس الوضع واعداد تقريره كذلك •

-٨-

الكفة تميل الى السوفيات

كانت الفترة بين ١٣ ايلول و١٥ منه عصيبة للغاية بالنسبة الى ستالينغراد • استطاع العدو رغم خسائره الفادحة ان يتقدم خطوة خطوة باتجاه ضفة الفولغا من المدينة • وكانت قوات اللواءين ٦٢ و٦٤ قد حولت ركام الاحياء المدمرة من المدينة الى حصون وقلاع للتمركز والدفاع • ونقطة التحول في الساعات الاخيرة كانت نزول فرقةالحرس ١٣ بقيادة روديمتسيف الى ميدان القتال بعد عبورها الفولغا ومهاجمة العدو من الوراء على حين غرة واستعادة مرتفعات ماماياف ـ كورغا في ١٦ ايلول • وقامت كذلك في الوقت ذاته قاذفات اللواء ١٦ ذات المدى البعيد بقيادة غولوفانوف بقصف جوي مركز على قطعات اللواء ٨ الالماني • هذا وندين بالشكر والثناء على حماة المدينة من جنودومقاتلين وقادة وساسة الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل ستالينغراد •

في حديثي مع القادة بريمنكو وغولوفانوف وغوردوف وموسكالنكو

حول وجوب استمرار تحسن الموقف الحالي ،لم آت على ذكر الخطةالتي كنا عرضناها على ستالين حول الهجوم العام نزولا عند رغبة ستـالين في السرية التامة حول المخططات المطروحة للعمليات العسكرية الهامة . استدعيت الى موسكو مرة أخرى لبحث الخطة مجددا .. ورغبت في الاجتماع الى فاسيلفسكي للتفاهم والتنسيق قبل اجتماعنا الى ستالين فـي مقر القيادة العليا بموسكـو ، سألنـي ستاليـن عـن رأيي بالجنـرال غوردوف قـائد جبهة ستالينغراد فقلت لـه ان غوردوف يتمتع بمهارة العمليات الحربية لكنه لا يستطيع التفاهم مع هيئة اركانه ورؤسائه واقترحت عليه استبداله بالجنرال روكوسفسكي . واستبدل كذلك اسم جبهة ستالينغراد بجبهة نهر الدون والجبهة الجنوبية الشرقية بجبهة ستالينغراد تمشيا مع طبيعة الموقع الجغرافي لكل منهما .

عين روكوسفسكي قائدا لجبهة الدون ومالينين رئيسا لاركانها . وانتدب اللفتنانت جنرال فاتوتيني لقيادة الجبهة الجنوبية الغربيةالجديدة وجعل لواء الحرس الاول نواة لها بعد نقل قائـد الجنرال موسكالنكو الى اللواء ٤٠ .

وبعد درس مفصل لخطة الهجوم العـام امرنا ستالين بالعودة الى مراكزنا ودراسة الموقف من جديد قبل اكتمال الخطوط العريضة للخطة والموافقة عليها . وعليه عاد كل منا الى جبهته لدراسة الموقف من جديد. وبعد اكتمال هذه الدراسة عدنا الى القيادة العليـا لانهاء الامر فنلنـا الموافقة من ستالين وانزل امضاءه على خريطة الخطة (المرموز اليهابكلمة « يوران ـ يورانوس » ـ المترجم) ثم قال ستالين : قبل الاعلان عن خطتنا هذه يجب الاستئناس باراء قادة الجبهات حول العمليات القادمة.

وبعد الاجتماع الى قادة الجبهات لاستطلاع رأيهم في مستقبل العمليات ثم اصدار تعليماتي اليهم بوجوب استعدادهم للهجوم العام حسب الخطة ، قال روكوسوفسكي ردا على سؤاله طرحته عليه انقواتنا قد استنزفت ولا تستطيع تحقيق اهدافها ، وكان ما قاله واقعا فعلا فأقررته على رأيه ٠

وفي ١ ت١ عدت الى موسكو لتحديد تاريخ البدء بالهجوم٠ كانت رحلتي جوا شاقة للغاية بسبب سوء الاحوال الجوية وانخفاض نسبة الانقشاع ٠ ولما هبطنا في المطار نجونا باعجوبة من انزلاق الطائرة على الجليد وتيهها عن المدرج لرداءة الانقشاع في الضباب الكثيف المنعقد على انخفاض فوق رقعة المطار ٠ ان مهارة القبطان بيليايف الذي قتل فيما بعد بحادث طيران هي التي انقذتنا ٠

وفي ت ١ امرت القيادة العليا بتشكيل فرق لعبور الفولغا الى ستالينغراد ولتعزيز قوات اللواء ٦٢ المرابطة داخل المدينة ٠ كما عززت جبهة الدون بمزيد من الاحتياط والمعدات ٠ وأولت القيادة العليا وهيئة الاركان العامة الجبهة الجنوبية الغربية الحديثة اهتماما خاصا بالنسبة الى ستراتيجية مواقعها واهدافها ٠

ونظرا لصمود المقاومة السوفياتية في ستالينغراد وجوارها طيلة شهر ت١ ، امر هتلر قوات المجموعة «ب» وقوات اللواء ٦ بقيادة فانباولس بالاستيلاء على المدينة في القريب العاجل ٠

ولكي يتسنى له توجيه ضربة قاصمة قام العدو بنقل قسم من قواته الضاربة قرب سيرافيموفيتش وجنوبي ستالينغراد ووضع مكانها قوات رومانية مما اضعف مواقع العدو الدفاعية في هذا المكان • وفي منتصف الشهر شن العدو هجوما اخيرا على المدينة لانهاء المقاومة واخضاع المدينة • الا ان قواتنا صمدت كالعادة وبرزت في هذه المعركة الضارية وحدات فرقة الحرس ١٣ بقيادة روديمنسيف والفرقة ٩٥ بقيادة غوريشني والفرقة ٣٧ بقيادة جولوديف والفرقة ١١٢ بقيادة برمولكن وعناصر مجموعة غوروخوف والفرقة ١٣٨ بقيادة ليودنيكوف وكتيبة الدبابات ٨٤ بقيادة بيلي •

استمرت المعركة بضعة ايام ليلا نهارا ودار القتال من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت ومن مصنع الى اخر وعلى ضفة الفولغا وفي كل مكان • وقد استطاعت قواتنا رغم ضحاياها الضخمة ان تعتصم وتواصل المقاومة في مجموعة من الخلايا في المدينة •

ولتخفيف الضغط على المدينة شنت قوات جبهة الدون هجوما على العدو في المدينة واضطرته الى تحويل قسم من قواته وآلياته وطيرانه لصد هذا الهجوم • وفي الوقت ذاته قام اللواء ٦٤ بهجوم مماثل على جَناح العدو في قطاع كيوبورسنوي ـ زيلينايا ـ بوليانا الى الجنوب من وسط المدينة •

وبهذين الهجومين ارتاح اللواء ٦٢ بعض الشيء من قوة ضغط القبضة الالمانية عليه في قلب المدينة • وفي اوائل ت٢ اعاد العدو الكرة

للقضاء على بقايا اعشاش وخلايا المقاومة في المـدينة الا انه لم يكلل بالنجـــاح •

في اواخر شهر ت٢ كانت القوات الالمانية قد استنزفت وتدهورت معنوياتها السياسية والعسكرية وفقد جنودها امل الخروج احيـاء من بركان المدينة كما دلت على ذلك استنطاقات الاسرى من بينهم •

وخلال المدة الواقعة بين حزيران وتشرين الثاني كان العدو قد فقد ٦٠٠ الف جندي والف دبابة والفي مدفع و١٤٠٠ طائرة في منطقة الدون ــ الفولغا ــ ستالينغراد وحدها ، بالاضافة الى نفـاذ فرق الاحتيـاط الالمانية • وغطت اجنحة المجموعة «ب» قوات غير معتمدة من رومانيـا وايطاليا وهنغاريا والتي تفهمت تماما موقفها البائس في البلاد •

اصبحت القوات السوفياتية على نهر الدون في مركز يخولها الرد بعنف على عمليات العدو • والى الجنوب من ستالينغراد قام اللواء ٥١ بشن هجوم محلي على قوات العدو المرابطة في ممرات البحيرات واخرجه منها (بحيرة ساربا وتساتسا ويرمنتسال) • وبتوصية من فاسيلفسكـي اختير هـــذا الخط منطلقـا لعملياتنا فـي الهجوم العام المقرر فـي شهـر ت٢ •

وكانت معركــة ستالينغراد في شهرها الرابع وكان العالم يتابـع التطورات فيها بأنفاس منقطعة • ان شجاعــة الاتحاد السوفياتي وعناده

وصموده في الصراع المرير ضد العدو النازي قد الهم الانسانية خيرا واكسبها ثقة بالنصر المبين على الفاشستية المجرمة •

ان معركة ستالينغراد قد لقنتنا درسا تربويا توجيهيا في سبل النصر باكتساب القادة والجنود معا خبرة عملية في تنظيم العمليات الحربية وتنسيقها بين مختلف قطاعات الجيش من مشاة ودبابات ومدفعية وآليات وطيران • تعلم جنودنا كيف يقاومون بعناد ويناورون العدو بحكمة ودهاء • وبفضل هذه المعركة ارتفعت معنويات قواتنا مما هيأ لنا مناخ خطة الهجوم العام المرسومة •

ان القتال الذي دار حول ستالينغراد وفي شمالي القوقاس في منتصف شهر ت٢ عام ١٩٤٢ كان الخطوة الاولى في المرحلة الاولى من حرب الدفاع الوطني الكبرى التي لعبت دورا مصيريا في حياة الشعب السوفياتي • ان هذه الفترة كانت اقسى الفترات على الوطن وقواته المسلحة لان العدو الذي كان يزرع الموت والدمار استطاع ان يمثل القسم الاكبر من اوكرانيا وبقي بينه وبين لينينغراد وموسكو قاب قوسين •

وفي بحر ت٢ ١٩٤٢ كان العدو قد احتل ما يقارب ٧٠٠ الف ميل مربع من البلاد وكان يقطن هذه الرقعة قبل الحرب ٨٠ مليون نسمة • وقد هرب معظم هؤلاء شرقا من الاحتلال النازي تاركين وراءهم مدنهم وقراهم ومصانعهم ومزارعهم كما اضطرت كذلك القوات المسلحة السوفياتية الى التراجع داخل البلاد بفعل تدهور الموقف العسكري بعد ان تكبدت خسائر مرة في الارواح والمعدات •

لم تفقد البلاد ولا الجيش الثقة بالنصر على قطعان الفاشيست حتى في احلك الاوقات واحرجها . وقد استقطب الخطر المميت الشعب والقوات المسلحة فالتف حول حزبه واستطاع في النهاية رغم جميع الصعوبات ان يوقف العدو في جميع القطاعات . ان البطولة الجماعية في القوات السوفياتية وشجاعة قادتها وصمود المواطنين وتفهمهم لواقع الامور قد برزت جميعا وبوضوح في القتال الضاري خلال تلك المرحلة القاسية . لقد علمنا هذه الخصال الحزب الشيوعي الساهر الدائب .

وقد قدم اعضاء الحزب وشبابه واشباله امثولة التضحية في سبيل النصر . وكتب كذلك صفحات مشرقة في تاريخ البلاد كل من ابطال المقاومة في قلاع المقدمة في برست ولينينغراد وموسكو واذوسا وسيفستوبول وستالينغراد وليباجا وكييف والقوقاس .

ان الكفاح المسلح العنيف ضد القوات الالمانية قد استهلك كميات ضخمة من السلاح والذخيرة والعتاد والضحايا . ورغم احتلال العدو عددا كبيرا من المعامل والمصانع ومرافق الاقتصاد والانتاج استطاع الشعب السوفياتي ان يضاعف جهوده في ما تبقى من مرافق البلاد الحيوية لتزويد القوات المسلحة بما تحتاج اليه في هذه الحرب الضروس . وفي نهاية المرحلة الاولى من الحرب كانت البلاد قد تحولت الى ثكنة عسكرية .

غالبا ما يطرح هذا السؤال نفسه : ما هي امكانات العدو الذي واجهه الاتحاد السوفياتي ؟

وسأجيب على هذا السؤال باختصار وامانة لكي تكون الصورة واضحة امام الاجيال السوفياتية الطالعة :

ان خمرة النصر السريع في غربي اوروبا قد اسكرت القوات الالمانية واشبعت غرور قادةهتلر وسممت عقول مخططيه للحرب• الجندي الالماني دون ريب يتمتع بثقة نفسية وقدرة قتالية وانضباطية عسكرية وخبرة حربية •

الجندي الالماني يعي مسؤولياته في الحرب كاملا • الوحدات المدرعة والقوات الجوية كانت افضل عناصر العدو في الحرب • قادة الجبهات الالمان كانوا كذلك على مستوى رفيع من الخبرة والعلم • الآلة الالمانية من الدبابة الى الطائرة الى وسائل المخابرات واللاسلكي كانت العمود الفقري للقوة الالمانية •

لقد خسرت هذه القوة الجبارة امام المواطنية السوفياتية • لم يستطع العدو توزيع آلياته وقواته على جميع القطاعات في ثلاث جبهات جنوبية وثلاث غربية • عملية الاعصار فشلت في معركة موسكو كما فشل غيرها في لينينغراد وستالينغراد •

منذ بدء الحرب حتى ت٢ ١٩٤٢ كان العدو قد خسر مليوني جندي على ارض المعركة في الاتحاد السوفياتي بين قتيل وجريح ومفقود •

لقد اخطأت الحسابات الهتلرية في هجومها على الاتحاد السوفياتي

اعتقد العدو انه سيخوض معركـة واحدة في جبهة واحدة . لقد فتحت عليه جبهات ومعارك في المقدمة والمؤخرة نظامية وغير نظامية . اعتمـد العدو على الالة ولم يول العنصر البشري اهتمامه . ولما افتقد العدو عناصره البشرية توقفت الالة .

الجندي السوفياتي اعتمد اساسا على لحمه ودمه وعقله ونشاطه فربح الحرب وغير مجرى التاريخ انسانيا وحضاريا .

- ٩ -

عملية يورانوس تتبلور

بعد المعارك الضارية التـي نشبت في الشمال والجنوب وحـول ستالينغراد اعتقد العدو ان القوات السوفياتية قد انهكت ولا تستطيـع في الظروف الراهنـة ان تعد لاي هجوم فعال خلال الشتاء .

وللمناورة قمنا بعمليات عسكريـة ضد تجمع العدو غربي موسكو خلال الصيف والربيع من عام ١٩٤٢ كي ندخل في روعه ان الهجـوم الشتوي سيبدأ من الغرب لا مـن الجنوب والشرق والشمال . فنجحت الحيلة وراح العدو يحشد قواتـه على خطوط المواجهة في القطاعـات الغربية ونقل بعضا من فرق دباباته ومشاتـه وآلياته مـن جبهة لينينغراد الى فاليكي رلوكي في الغرب . واستقدم كذلك ٧ فرق من فرنسا والمانيا الى قطاعي عيتبسك وسمولنسك للغايـة نفسها . ونقل فرقتي دبابات كانت ترابط سابقا فيقطاعي فورونيج وميدرا الىبرتسيفو وروزلافك . وفي اوائل تشرين الاول كان العدو قد حشد في هذه القطاعات ١٢ فرقة

بكامل آلياتها وعتادها لتعزيز قطاعاته على طول خطوط المواجهة في الغرب • ولم تستطع الاستخبارات الالمانيـة ان تكتشف استعداداتنا العسكرية لخطة الهجوم العام في ستالينغراد اعددنا لهذا الهجوم ١١ لواء وبضع فرق آلية متحركة وكتائب خيالة ودبابات ووحدات اخرى متنوعة وجهزنا جميعا بـ ١٣٥٠٠ مدفع ومدفع هاون و ١١٠٠ مدفع مضاد للطائرات و١١٥ فصيلة من القطع الصاروخية و٩٠٠ دبابة و١١١٥ طائرة •

يتلخص موقف العدو ستراتيجيا بعد الهجوم كما يلي :

١ ـ اقتصرت عمليات العدو العسكرية للمجموعة «ب» على منطقة حوض الدون الوسطى وستالينغراد وبحيرات ساربا • قام بهذه العمليات اللواء الايطالي ٨ واللواءان الرومانيان ٣ و٤ واللواءان الالمانيان ٦ و٤ للدبـابات •

٢ ـ كان تعداد المجموعة «ب» ما ينيف عن مليون مقاتـل و٦٧٥ دبابة ومدافع آلية و١٠ الاف مدفع ومدفع هاون • لقد تساوى الجانبان الروسي والالماني عددا وعدة الا في حقل الدبابات •

٣ ـ كان يساند المجموعة «ب» الاسطول الجوي الرابع القوي وفرقة القوات الجوية ٨ •

بعد وفاة ستالين كثر الكلام فـي المؤسسات التاريخيـة وشاعت الاقاويل حول واضع خطة الهجوم العام (عملية يورانوس) التي قلبت وجه الحرب العالميـة الثانية وانزلت المسمـار الاول فـي نعش النازية

الفاشستية الهتلرية • بعضهم من نسبها الى قادة خطوط المواجهة ونسبها البعض الاخر الى قادة الجبهات • والواقع ان الخطة قد وضعتها القيادة العليا بالاشتراك مع هيئة الاركان العامة • في ظل النظام الاشتراكي تنعدم المزايدات الفردية او الكتلية ولا فرق بين واضع الخطة ومنفذها • وبالطبع قد وقف واضعو الخطة على آراء قادة خطوط المواجهة وقادة الجهات ومختلف عناصر العمليات العسكرية كما اخذوا كذلك بعين الاعتبار توصياتهم في التنظيم والتنسيق بين مختلف القطاعات في جميع الجبهات • ان القيادة العليا كانت الدماغ الموجه المشرف على عمليات الحرب وهيئة الاركان العامة كانت الجهاز الخلاق لهذه العمليات ، ان القيادة العليا مع هيئة اركانها العامة كانت الجهاز العقلاني المخطط والمحلل الساهر ابدا على تشخيص نوايا العدو وكشف مخططاته بعد ان يقوم بفحص دقيق مركز للرسوم والتقارير الواردة اليه من القادة والعاملين والمسؤولين في معركة المصير العام ، ان المجهود الكلي الجماعي هو الواقع والحق في جميع المجالات والميادين •

كان على الجبهة الجنوبية الغربية بقيادة الجنرال فاتوشن ان تلعب الدور الرئيسي في المرحلة الاولى من الهجوم العام بتوجيهها ضربات متتالية في عمق العدو من نوافذها المطلة عليه على الضفة الجنوبية من الدون قرب سيرافيموفتش وكلاشكايا • وفي الوقت ذاته توجه جبهة ستالينغراد ضربات مماثلة من منطقة بحيرات ساربا جنوبي المدينة ، ثم تلتقي قوات المغاوير الصدامية من الجبهتين قرب كلاش وسوفتسكي مطوقة بذلك قوات العدو الرئيسية في ستالينغراد ، كان على الجبهة الجنوبية الغربية ، وقوامها اللواء ٢١ ولواء الدبابات الخامس ومجموعة من عناصر لواء الحرس الاول ، ان تنطلق من مواقعها المطلة هذه عبر

خطوط الدفاع الرومانية (اللواء الثالث الروماني) بوحداتها المتحركة باتجاه الجنوب الشرقي حتى نهر الدون بين يولش ــ ناباتوسكي وكالاش بحيث يصبح موقعها الحالي في مؤخرة العدو في ستالينغراد لعزله عن قواته في الغرب •

يغطي عمليات هذا التقدم من الجنوب الغربي والغرب جبهة خارجية يفتحها لواء الحرس الاول بقيادة الجنرال ليليوشنكو ثم ينضم اليه لواء الدبابات الخامس بقيادة اللفتنانت جنرال دومنتكو • وكان من المفروض ان تصل هذه القوات الى خط يمتد من فاشنسكايا الى بوكوفسكايا على محاذاة نهر تسير حتى اوبليفسكايا في اليوم الثالث من انطلاق عملياتها من الغرب والجنوب الغربي والجنوب •

وكان على لواءي القوات الجوية ٢ و١٧ ان تغطي عمليات الجبهة الجنوبية الغربية • وكان على جبهة الدون بالتنسيق مع الجبهة الجنوبية الغربية ضربتان اضافيتان يقوم باولاهما اللواء ٦٥ من النافذة الشرقية قرب كلاشكايا في محاولة لمطاردة خطوط الدفاع الالمانية على محاذاة الضفة الجنوبية للدون • ويقوم بالثانية اللواء ٢٤ من منطقة كاشلنسكايا باتجاه الجنوب على محاذاة الضفة الشرقية من النهر باتجاه فيرتياشي في محاولة لعزل قوات العدو في منعطفات الدون عن حامياته في ستالينغراد •

وكان على اللواء ٦٦ ان يشغل العدو شمالي ستالينغراد في اشتباكات تمنعه من تحريك احتياطه وفي الوقت ذاته يقوم اللواء ١٦ الجوي بقيادة رودنكو لتغطية هذه الاشتباكات وكان على الالوية ٥١ و٥٧ و٦٤

من جبهة ستالينغراد ان تشن هجوما على قطاع يمتد من ايفانوفكا جنوبي ستالينغراد الى الطرف الشمالي من بحيرة برماتتسال في محاولة لاختراق خطوط العدو الدفاعية نحو الشمال للانضمام الى قوات الجبهة الجنوبية الغربية قرب كالاش وسوفتسكي مطوقة بذلك القوات الالمانية في ستالينغراد • واسندت الى اللواء ٥١ بقيادة الميجر جنرال تروفانوف مهمة اختراق خطوط العدو من مراكزه المتداخلة في بحيرات ساربا وتساتسا وبرماتتساك باتجاه الجنوب الغربي حتى ابغانيروفو • ويقوم كذلك اللواء ٥٧ بقيادة نوليبوخن واللواء ٦٤ بقيادة شوميلوف باشتباك مع العدو من منطقة ايفانوفسكا من الغرب والشمال الغربي في محاولة لتطويقه في ستالينغراد من الجنوب • كما ترابط قوات اللواء ٦٢ بقيادة شويكوف في المدينة وتشتبك معه في عملية كروفر لمنعه من اتخاذ أي اجراءات لتعزيز قواته باستقدام الاحتياط •

وكان على الجبهة الخارجية (من اللواء ٥١ وكتيبة الخيالة الرابعة) ان تغطي تقدم جبهة ستالينغراد من الجنوب الغربي باتجاه أبغانيروفو وكوتلنيكوفو ويغطي اللواء الثامن بقيادة خريوكن جميع هذه العمليات• وقد شملت الاستعدادات العامة لهذا الهجوم نقل كميات كبيرة من القوات مع معداتها وعتادها لجميع الجبهات وبصورة خاصة للجبهة الجنوبية الغربية •

وقد امضيت برفقة فاسيلفسكي وممثلين اخرين من القيادة المدة الواقعة بين اواخر ت١ واوائل ت٢ في الجبهة نشرف على خطة عمليات القادة وهيئات اركانهم • وقد اعجبنا بنشاط هؤلاء واستعداداتهم الكاملة في تنظيم وحداتهم والتنسيق بينها بشعور من المسؤولية والجدية

في محاولة لاستلام زمام المبادرة من العدو • وقد قمنا كذلك بتنظيم عمليات الجبهة الغربية للواء ٢١ ولواء الدبابات الخامس ولواء الحرس الاول وتنسيق هذه العمليات بين هذه الالوية بصورة تضمن فعالية مدفعية هذه الالوية وقواتها المدرعة واعمال مهندسيها •

وفي الرابع من تشرين الثاني قمنا بتنظيم وتنسيق مماثلين للواءين ٢١ و٦٥ في اجتماع عقدناه في مقر قيادة اللواء ٢١ • وفي الوقت ذاته قمت وفاسيلفسكي بمراجعة مخططات الالوية ٥١ و٥٧ و٦٤ •

وفي تنظيماتنا واستعداداتنا هذه كنا نأخذ بعين الاعتبار نقاط تمركز العدو وطبيعة خطوط دفاعه وقواعد مدفعيته واماكن حشد دباباته ليسهل علينا تركيز قواتنا في مواقع تستطيع منها ان تقابل قوات العدو هذه •

لقد ركز القادة والمفوضون السياسيون على اهمية ضرب مواقع العدو الاستراتيجية وارغامه على الانسحاب منها او منعه على الاقل من امكانية استقدام التعزيزات الاحتياطية • كانت هذه عملية شاقة بالنسبة الى هؤلاء القادة والمفوضين ولكنها قد ساعدت في النهاية على انجاح مخططنا الهجومي العام •

وبموجب اتفاقي مع فاسيلفسكي حضرت الى مقر قيادة اللواء ٥٧ في تاتيانوفكا في صبيحة العاشر من ت٢ لوضع اللمسات الاخيرة على خريطة الاستعدادات • وقد حضر اجتماعنا في مقر القيادة هذه كل من اعضاء مجلس الجبهة العسكري وهم يويوف وشوميلوف

وتولبوخن وتروفانوف والقادة فولسكي وشابكن وسائر جنرالات الجبهة •

وقد بحثنا خلال اجتماعنا الاستطلاعي هذا قضايا التنسيق بين العمليات العسكرية في مختلف قطاعات الجبهة الجنوبية الغربية وخطة التقاء قوات هذه القطاعات قرب كالاش •

وفي عشية الحادي عشر من تشرين الثاني ارسلت البرقية التالية الى ستالين :

اجتمعت زهاء يومين بالقائد يرمنكو • وقمت شخصيا بمراقبة مواقع العدو المقابلة للواء ٥١ و٥٧ كما راقبت عن كثب كذلك مواقع قواتنا ومهماتها الاساسية في عملية يورانوس • لاحظت ان استعدادات القائد تولبوخن لعملية يورانوس كانت الفضلى •

اصدرت التعليمات بالكشف والاستطلاع على سائر العمليات على اساس المعلومات المتوفرة لدى القادة •

الرفيق بوبوف يقوم بعمله على احسن ما يرام • ان فرقتي الرماة (٨٧ و٣١٥) اللتين عينتهما القيادة العليا للالتحاق بالقائد يرمنكو لم تصلا بعد بسبب النقص في وسائل النقل والجياد • لم يصل حتى الان الا كتيبتان آليتان • لذلك لن تكتمل الاستعدادات في الوقت المحدد • اصدرت الاوامر باستكمالها حتى ١٥ ت٢ • يجب ان نزود يرمنكو بمائة طن من الشحم المضاد للصقيع كي تتمكن وحداته من التحرك دونما عائق •

يجب توفير وسائل النقل بسرعة لفرقتي الرماة ٨ و٣١٥ ، والاسراع بتزويد اللواءين ٥١ و٥٧ بملابس شتوية وذخيرة قبل حلول ١٤ ت٢ .

كونستانتينوف (اسمي الرمزي)

رقم ٤٦٥٧ ١١ ت٢ ١٩٤٢

يبدو ان ستالين قد اولى مسائل التغطية الجوية اهتماما بالغا . وقد بعث الي ستالين بالبرقية التالية ردا على رسالة مني اشكو فيها سوء الاستعدادات القائمة حاليا لتغطية عمليات الهجوم العام :

الرفيق كونستانتينوف

اذا كانت المساندة الجوية للقائدين يرمنكو وفاتوتين غير مرضية فان العملية ستفشل . علمتنا الخبرة أننا لا نستطيع التغلب على العدو الا بالتفوق الجوي . على قواتنا الجوية ان تقوم بما يلي :

١ ــ تركيز ضرباتها على وحدات العدو بمساندة قوات المغاوير الصدامية .

٢ ــ شق الطريق لقواتنا المتقدمة بقصف مستمر لمراكز العدو .

٣ ــ ملاحقة العدو المنسحب بقصف مستمر لضعضعة قوته ومنعه من تركيزها في خطوط دفاعية .

اذا كان نوفيكوف قائد القوات الجوية يعتقد ان الاستعدادات لم تكتمل بعد لتنفيذ هذه العمليات ، فعلينا ان نؤجل العملية حتى تكتمل. المطلوب ان تبحث هذا مع نوفيكوف وفوروجايكن (قائد القوات الجوية بالوكالة) وان تفيدني عن رأيك بهذا الصدد .

فاسيلييف (احد اسماء ستالين الرمزية)

رقم ١٧٠٦٨٦

١٢ ت٢ ١٩٤٢

بعد ان اعدنا النظر بمخطط العمليات في جبهة ستالينغراد اتصلنا بستالين هاتفيا في ١٢ ت٢ وابلغناه اننا نريد ان نبحث معه شخصيا خطة العمليات القادمة . وفي اليوم التالي وصلنا الكرملين واجتمعنا بالقائد الاعلى فسألنا عن الموقف فقدمنا له التقرير التالي :

بالنسبة الى قواتنا عددا وعدة ، فان خطوط العدو الدفاعية ما زالت تحميها قوات رومانية ضعيفة مما يجعل قواتنا هذه في مركز القوة على جبهتي ستالينغراد والجنوبية الغربية . وبنتيجة استنطاق بعض الاسرى تبين ان القوات الرومانية لم تكن بمستوى القتال المطلوب . وعليه فاننا تتفوق عليها عددا ما لم تسارع القوات الالمانية الى نجدتها بالاحتياط . وقد افادت استخباراتنا ان العدو لم يقم بمثل هذه التعزيزات ، لان لواء العدو ٦ بقيادة فان باولس بالاضافة الى لواء الدبابات ٤ قد بقيت في جوار ستالينغراد حيث كانت قواتنا من جبهتي ستالينغراد ونهر الدون تعرقل تحركاتها .

استمرت قواتنا بالاحتشاد في المناطق المعينة لها في سرية تامة لم يستطع العدو كشفها • وبذلك استطعنا ان نزود هذه الحشود بما تحتاج اليه من تموينات •

لقد قمنا بدراسة دقيقة لمختلف العمليات والتنسيق بينها على صعيد القطاعات العامة في الجبهة • وقد اعدنا النظر كذلك بنقطة التقاء قوات الصدام من الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة ستالينغراد وبحثنا الامر مليا مع قادة هاتين الجبهتين وهيئتي اركانهما • الا ان القوات الجوية لن تكتمل استعداداتها على ما يبدو قبل حلول ١٥ ت٢ • اما الجبهتان الداخلية والخارجية الموكول اليهما تطويق القوات الالمانية في ستالينغراد وتصفيتها ، فقد اعدنا النظر بعملياتها من الاساس وبالتفصيل •

ان ورود الذخيرة والوقود والملابس الشتوية يبدو بطيئا حتى الساعة وينتظر ان يكتمل بين ١٦ و ١٧ تشرين الثاني على ابعد حد • تستطيع الجبهتان الجنوبية الغربية ونهر الدون البدء بالهجوم في ١٩ ت٢ وتبدأه جبهة ستالينغراد في ٢٠ ت٢ • ان الفارق الزمني بين الانطلاقين كان نتيجة لصعوبة مهام الجبهة الجنوبية الغربية التي كان عليها انتجتاز نهر الدون للانضمام الى قوات الجبهتين الاخريين في نقطة الالتقاء قرب كالاش وسوفتسكي •

لقد اصغى الينا ستالين باهتمام كما كان يبدو من حركاته في دغدغة شاربيه وتدخينه « الغليون » او الشبق دون ان يقاطعنا • ان عملية ستالينغراد هذه كانت تعني انتقال زمام المبادرة الى قبضتنا • ونحن لنا ملء الثقة بنجاحها ونتائجها البعيدة لصالح البلاد •

بينما كنا نعرض تقريرنا هذا انضم اعضاء لجنة الدفاع القومي والمكتب السياسي الى ستالين للاستماع الى تلاوة التقرير . وبعد اكتمال الدراسة والمباحثات حوله نال الموافقة من القيادة العليا وهيئة اركانها العامة .

قمت وفاسيلفسكي بلفت انتباه ستالين الى واقع انه في حال وقوع العدو في مأزق حرج في ستالينغراد وشمالي القوقاس قد يبادر الى استقدام التعزيزات الاحتياطية من قطاع فايزما ومن القطاعات الاخرى غربي موسكو لدعم مواقفه العسكرية . ولمنع العدو من هذا اقترحنا هجوما ينطلق شمالي فايزما على منافذ العدو حول قطاع رجيف . يقوم بهذا الهجوم قوات من جبهتي كالينين والغربية .

هذه فكرة عظيمة ! قال ستالين : ايكما سيقود هذه العملية ؟ لقد اتفقنا على هذه النقطة سابقا ولذلك قلت : ان فاسيلفسكي سيهتم بتنسيق العمليات في جبهة ستالينغراد وأقوم انا بالاشراف على عمليات جبهتي كالينين والغربية . فوافق ستالين وأمرنا بالعودة الى مقر اعمالنا لمتابعة الاعداد للهجوم العام . وفي ١٤ ت ٢ عدت الى قوات فاتوتن وعاد فاسيلفسكي الى قوات يرمنكو وفي اليوم التالي تلقيت البرقية التالية من ستالين :

الرفيق كونستانتينوف :

تستطيع ان تحدد تاريخ تحرك فيدورروف وايفانوف (عملية هجوم فاتوتن ويرمنكو) كما تراه مناسبا وأفدني عن ذلك لدى عودتك الى موسكو . اذا كنت تعتقد من الضروري ان يتحرك الواحد قبل الآخر فاني اخولك حق التصرف بذلك كما تراه مناسبا .

فاسيلياف ١٣١٠

١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

وبعد مباحثات ثنائية بيني وبين فاسيلفسكي اتفقنا على ان نحـدد ٢٩ ت٢ تاريخا لبدء الهجوم من الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة الـدون بلوائها ٦٥ ، و ٢٠ ت٢ تاريخا لبدء الهجوم من جبهة ستالينغراد • لقد نلنا موافقة ستالين على ذلك •

وفي ١٧ ت٢ استدعيت من الجبهة الى مقر القيادة العليا في موسكو لاعداد خطة العمليات لجبهتي كالينين والغربية •

- ١٠ -

ستالينغراد ترد الضربة

في السابعة والنصف من صباح ١٩ ت٢ قامـــت قوات الجبهـة الجنوبية الغربية بهجوم عنيف على خطوط الدفـــاع الرومانية قــرب سيرافموفيتش وكلاتكايا فاحتلتها . وقد هبت القوات الالمانية وراء هذه الخطوط لنجدتها فلم تنجح ودحرتها قواتنا من فرقتي الدبابات الاولـى و ٢٦ . وعليه فقد نجح الهجوم الاستراتيجي الاول من قطاع الجبهـة الجنوبية الغربية بقيادة الجنرال رومانتكو .

لقد توقع العدو ان يأتيه الهجوم من قطاع اللواء ٢١ فاستقـــدم التعزيزات الرومانية من فرق الدبابات ١ و ١٤ و ٢٢ وفرقة الخيالة سبعة لاستخدامها ضد قوات القائد شيشياكوف . ولما فشلت هذه القــوات بصد الهجوم السوفياتي حولت لمقابلة فرقة الدبابات الاولـى والخامسة بقيادة المايجر جنرال يودكوف . وقد كبدت قوات فرقة الدبابـات ٢٦

بقيادة الميجر جنرال رودن العدو خسائر فادحة وأسرت فرقة دباباته الاولى واللواء الروماني الخامس • وقد هرب كثير منهم واستسلم الآخرون • وحالما تمركزت قواتنا في مواقع عملياتها استطاعت ان توجه الضربة تلو الاخرى على مراكز تجمعات العدو فأعلن استسلامه ثم تابعت فرقة الدبابات ٢٦ بقيادة رودن وفرقة الدبابات ٤ بقيادة كرافشنكو زحفهما باتجاه كالاش للانضمام الى قوات الكتيبة الآلية ٤ في جبهة ستالينغراد كما كان مقررا •

وفي عشية ٢٢ ـ ٢٣ ت٢ تقدمت احدى فصائل فرقة الدبابات ٢٦ بقيادة اللفتنانت كولونيل فيليبوف واستولت على جسر عبر نهر الدون وأمنت عبور كامل الفرقة واستولت على مدينة كالاش • وقد منح الكولونيل هذا لقب بطل الاتحاد السوفياتي لمأثرته هذه ومنح جنوده كذلك الاوسمة والنياشين • وفي ٢٤ ت٢ أسر اللواءان ٢١ و ٥٥ ما ينيف عن ٣٠ الف جندي من قوات العدو المحاصرة • وقام اللواء ٦٥ من جبهة الدون بقيادة اللفتنانت جنرال باتوف بهجوم الى يسار اللواء ٢١ على مواقع العدو لمساعدة الالوية الاخرى وتغطية عملياتها عبر النهر •

ان ستالين الذي كان قلقا حول مصير العمليات لجناح جبهة الدون الايمن ، قد ارسل البرقية التالية الى الجنرال روكوسوفسكي في مساء ٢٣ ت٢ :

الرفيق روكوسوفسكي :

نسخة الى الرفيق فاسيلفسكي

يقول فاسيلفسكي ان العدو قد حول قسما كبيرا من فرقته الآلية ٣ وفرقة الدبابات ١٦ من جبهتكم الى مواجهة اللواء ٢١ . ان هذا لفرصة مناسبة لازدياد نشاط قوات جبهتكم . غالينين (قائد اللواء ٢٤) بطيء للغاية . اخبره ان عليه انيستعيد فيرتياشي قبل حلول ٢٤ ت٢ . كذلك ابلغ جادوف (قائد لواء ٦٦) ان يبدأ عملياته بنشاط افضل لعرقلة اعمال العدو . عليك كذلك ان تعاون باتوف لتصعيد عملياته الحالية .

ستالين

رقم : ١٩٤٠

٢٣ ت٢ ١٩٤٢

وتتيجة للهجوم الناجح الذي شنه اللواء ٢١ بالاضافة الى الاجراءات الحكيمة التي اتخذتها قيادة جبهة الدون فقد تحسن موقف اللواء ٦٥ مما شجع عمليات اللواء ٢٤ في الهجوم على العدو بعد ثلاثة ايام ودحره على ضفة نهر الدون الشرقية . الا انه لم يستطع ان يحقق اهدافا ستراتيجية ، وفي ٢٠ ت٢ قامت الالوية ٥١ و ٥٧ و ٦٤ من جبهة ستالينغراد بهجومها

المقرر باتجاه بلودوفيتوي وابغانيروفو حتـــى كالاش وايفانوفكـــا وكافريلوفكا وفرفروفكا بالاشتراك مع الجناح الايمن للواء ٥٧ •

وبعد الانتصار السوفياتي الساحق على القوات الالمانية والرومانية معا تنفست جبهة ستالينغراد وشنت هجوما عاما بجميع ألويتها على مواقع العدو المحيطة بها واحتلت معظمها •

لقد حاول العدو عبثا ان يوقف الزحف السوفياتـي باستقدامه التعزيزات من مختلف جبهاته الا ان قوته كانت قد انهارت ولـم يستطع تحقيق شيء من مخططاته لوقف الهجوم السوفياتي • وعليه فقد تابعت القوات السوفياتية زحفها رغم المقاومة حتى وصلـــت الى سوفاتسكي بوحداتها من الدبابات في ٢٣ ت٢ •

لقد عبرت فرقة الدبابات ٤ من الجبهة الجنوبية الغربية نهر الـدون والتحقت بالكتيبة الالية ٤ من جبهة ستالينغراد قرب سوفاتسكي واكملت بذلك تطويق قوات العدو بين نهري فولغا والدون •

وفي هذه الاثناء قام لواء الحرس الاول ولواء الدبابات ٥ من الجبهة الجنوبية الغربية بالاشتراك مع اللواء ٥١ من جبهة ستالينغراد بمطاردة قوات العدو المنسحبة في محاولة لعزلها عن القـــوات المحاصرة فـــي ستالينغراد وخلق جبهة خارجية مهمتها تصفية القوات المعزولة هذه •

وبهذا تمت المرحلة الاولى من الهجوم العام • وفي الايام الاولـى من ك١ بدأت القوات السوفياتية بشد الخناق على القوات الالمانية وتابعت

عملياتها للمرحلة الثانية من الهجوم وهي تصفية القوات المطوقة .

وخلال هذه المدة كان فاسيلفسكي وهيئة الاركان العامة يحيطانني علما بآخر التطورات . لقد وصل الهجوم الى مرحلة حاسمة بعد تطويق القوات الالمانية من اللواء ٦ وعناصر من لواء الدبابات ٤ ومهمتنا في ذلك كانت منع العدو من كسر الطوق السوفياتي والافلات من الحصار .

وفي ٢٨ ت٢ كنت في مقر قيادة جبهة كالينين اطلع على خطة الهجوم المقترح غربي موسكو . وفي ساعة متأخرة من تلك العشية دعاني ستالين وسألني عما اذا كنت مطلعا على ما يدور حول ستالينغراد . ثم طلب مني ان اعير قضية تصفية القوات المطوقة كل اهتمامي . وفي اليوم التالي بعثت بالبرقية التالية الى ستالين :

لا يبدو ان القوات الالمانية المطوقة ستقوم بأي محاولة للافلات من الحصار باتجاه نيجني ــ شيرسكايا وكوتلنيكوفو ــ ان القيادة الالمانية ستحاول على ما يبدو ان ترابط في مواقعها في ستالينغراد وفيرتياشي ومارينوفكا وكاربوفكا وفي مزرعة الدولة في غومايا ــ بولينانا وستحشد قواتها الاحتياطية حول نيجني ــ شيرسكايا وكوتلنيكوفو لشن هجوم على قواتنا باتجاه كاربوفكا في محاولة لتأمين ممر لتموين قواتها المحاصرة ريثما تتمكن من الافلات . واذا نجح العدو فان الممر هذا سيكون على طول الخط الممتد بين مارينوفكا وليابيشيف وفرخنيشرسكي في الشمال وبين سيبنكو وزيتي ونيلوفسكايا وشابالن الى الجنوب الشرقي علينا ان تتخذ الخطوات اللازمة لمنع العدو من الفرار ضمن هذا الخطر وعزله عن الانضمام الى قواته المحاصرة في ستالينغراد . ولتحقيق

هذا علينا ان نرابط في خط دفاعي متين يمتد من ابليفسكايا الى تورموزن حتى كوتليكوفو • يقوم بهذه العملية فرقتا دبابات تعداد كل منهما مائة دبابة على الاقل لتعزيز مواقع قواتنا المرابطة على خط نيجني ـ شرسكايا وكوتلنيكوفو • يجب شق قوات العدو المحاصرة في ستالينغراد الى شطرين بشن هجوم عنيف باتجاه بولشايا ـ روسوسخا وآخر باتجاه ريوبينينسكي ومرتفعات ١٣٥ • اما على القطاعات الاخرى فتتخذ قواتنا مواقف دفاعية تستطيع العمل على مستوى فصائل لاستنزاف قوة العدو في مناوشات واشتباكات مستمرة • وبعد شق القوات المذكورة الى شطرين نقوم بتصفية الشق الاضعف ثم تتابع تصفية الشق الاقوى بحشد اكبر من القوات السوفياتية في ستالينغراد •

جوكوف

رقم ٢ ـ ٢٩ ت ٢ ـ ١٩٤٢

لقد بحثت الموضوع مع فاسيلفسكي فوافقني على ذلك كما بحثنا معا مستقبل العمليات القادمة في الجبهة الجنوبية الغربية ففضل فاسيلفسكي تأجيل « عملية زحل الكبرى » في الوقت الحاضر وارتأى ان نقذف بقوات الجبهة هذه في هجوم مركز على جناح العدو في مركز تجمعه في تورموزن • وقد وافقت على هذه الخطة هيئة الاركان العامة • لقد اسند الى قوات الجبهة الجنوبية الغربية المرموز اليها باسم « زحل الصغير » مهمة ضرب العدو باتجاه موروزوفيسك بمساندة لواء الحرس الاول ولواء الحرس الثالث ولواء الدبابات الخامس لسحق قواته في تلك المنطقة • وكان على قوات اللواء السادس من جبهة فورونيج تغطية هذه العمليات بهجومها نحو كاتتيمبروفكا • في هذا الوقت تكون القيادة

النازية في حاجة ماسة الى التعزيزات الاحتياطية لتصحيح وضعها المتدهور في ستالينغراد والقوقاس • ولمنع الالمان من تحويل قواتهم قررت القيادة العليا شن هجوم عليها من جبهتي كالينين والغربية من نافذة رجيف • وقد اكتملت الخطة والاستعدادات لها في المدة بين ٢٠ ت ٢ و ٨ ك ١ • لقد اصدرنا البلاغ التالي الى الجبهات في ٨ ك ١ :

على قوات جبهتي كالينين والغربية ان تدمر مواقع العدو في مناطق رجيف وسايشفكا واولينينو وبيلي وان تواصل زحفها الى خط الدفاع الممتد من ياريجينو وسايجفكا واندريافسكوي ولينيدنو ونوفوي ــ اجافو وداتيليفو وسفيتي وذلك في اول ك٢ سنة ١٩٤٣ ، على الجبهة الغربية ان تعتمد ما يلي اساسا لعملياتها :

(أ) يجب تدمير مواقع العدو في بولشوي ــ كروبوكوفو وياريجينو في المدة بين ١٠ و ١١ ك ١ • اما سايشفكا فيجب استردادها قبل حلول ١٥ منه • وفي ٢٠ منه كحد اقصى يجب ان ترابط فرقتا رماة في منطقة اندرييفسكوي تساندها قوات اللواء ٤١ من جبهة كالينين لاكمال تطويق العدو •

(ب) وبعد ان تتمكن قواتنا من تدمير مواقع العدو وتصل سكة الحديد تقوم القوات الضاربة المتحركة تساندها اربع فرق رماة على الاقل بهجوم على مؤخرة العدو في رجيف ــ تشرتولينو • على اللواء ٣٠ ان يخترق خطوط دفاع العدو في قطاع كوشكينو للاستيلاء على مفارق الطرق شمالي شرقي بورغوفو في محاولة للوصول الى سكة حديد تشرتولينو قبل ١٥ ك ١ بحيث يسهل عليه تنسيق عملياته مع عمليات

القوى الضاربة على محاذاة سكة حديد رجيف بقصد استعادة المدينة قبل ٢٣ ك ١ .

اما جبهة كالينين فعليها ان تعتمد ما يلي اساسا لعملياتها :

(أ) على اللواءين ٣٩ و ٢٢ ان يواصلا هجومهما باتجاه اولينينو في محاولة لتشتيت تجمع العدو فيها قبل حلول ١٦ ك ١ . وفي الوقت ذاته تقوم عناصر من اللواء ٢٢ باشتباك اضافي مع العدو في ياغوري لمساندة اللواء ٤١ في تصفية تجمعات العدو في بيلي .

(ب) على اللواء ٤١ ان يسد ممر الفرار على العدو في تسينسينو في ١٠ ك ١ واسترداد مواقعه قرب اوكوليتسا . وفي ٢٠ ك ١ كحد اقصى يجب ان تقوم عناصر من اللواء ٤١ بالزحف الى الخط الممتد من مولنيا وفلاديمبرسكوي الى لينينو للالتحاق بعناصر الجبهة الغربية وتطويق العدو من الجنوب يجب ان تسترد بيلي قبل حلول ٢٠ ك ١ .

القيادة العليا

ج . ستالين

ج . جوكوف

رقم ١٧٠٧٠٠

اريد ان اشدد على اهمية هذه العمليات التي تشترك الجبهتان بالقيام

بهما باعتبار انها محاولة حاسمة لتصفية العدو في منافذ رجيف المحصنة . وقد قامت جبهة كالينين بقيادة اللفتيننت جنرال بوركاييف بمهمتها على اكمل وجه . لقد حققت اهدافها في هجومها الذي شنته جنوبي بيلي باتجاه سايشفكا . وكان على قوات الجبهة الغربية آنذاك ان تحذو حذوها للالتحاق بقوات كالينين وتطويق العدو في قطاع رجيف الا ان الجبهة الغربية لم تتمكن من اختراق خطوط الدفاع الالمانية .

طلب مني ستالين ان اذهب توا الى مقر قيادة الجنرال كونيف لاستطلاع الامر واحاول اصلاح الموقف . ولدى وصولي الى هناك تيقنت على الفور انه لا جدوى من تكرار العملية . لقد اكتشف العدو غايتنا من ذلك فحشد قوات كبيرة استقدمها من سائر القطاعات لتعزيز مواقعه المهددة . وفي الوقت نفسه عانت جبهة كالينين بعض المشاكل فيما حققته من اهداف اذ ان العدو كان قد تنبه للامر فنشطت قواته وتمكنت من الافلات من الطوق السوفياتي وهدد بمحاصرة فرقتنا الآلية بقيادة الميجر جنرال سولوماتن . طلبنا من القيادة العليا تعزيزات اضافية من فرق الرماة لمساعدة المحاصرين . استطاعت القوات المحاصرة ان تقاوم ثلاثة ايام الى ان تمكنت في اليوم الرابع من الافلات بعد ان سارعت الى نجدتها قوات سيبيرية وساعدتها على ذلك . ارسلنا القوات هذه الى المؤخرة للراحة بعد ان انهكها العدو في الحصار وبالرغم من ان قواتنا قد فشلت في تصفية العدو من منافذ رجيف فان هجومهم قد منع القيادة النازية من استقدام تعزيزات ضخمة من هذا القطاع وحشدها في قطاع ستالينغراد وفي الواقع ان القيادة الالمانية كانت قد استقدمت اربع فرق دبابات اضافية وفرقة آلية واحدة حتى استطاعت ان تحتفظ بمواقعها في قطاع رجيف ـ فايزما . ولدى مراجعة اسباب فشلنا في الجبهة الغربية وجدنا

اننا كنا قد اخطأنا في اختيار الممر المناسب لعملية هجومنا هذه . علمتنا الخبرة السابقة انه اذا تمكن العدو من الاحتفاظ بمواقعه دون تغطية مدفعية فان هذه المواقع تصبح سهلة التدمير فيما اذا قمنا بهجوم مركز . اما اذا كانت خطوط دفاع العدو واقعة على ممرات تصعب علينا مراقبتها مما يجعل قواتنا الجوية تخطيء اهدافها فان هذه الخطوط تصبح علينا صعبة المنال . وفي هذه الحالة اخطأنا اختيار الممر المناسب . والسبب الآخر في فشلنا في تحقيق اهدافنا هو النقص الذي كنا نعانيه في الدبابات والمدفعية والقوات الجوية . ان العمليات العسكرية المقررة لتصفية العدو المحاصر حول ستالينغراد كانت تتقدم ببطء خلال النصف الاول من ك١ . ان العدو بعد ان تلقى وعودا من هتلر بتعزيزات ضخمة لهذه الجبهة قد دافع عن مواقعه بعناد . ان قواتنا التي كانت تحاصر العدو قد ضعفت نوعا ما بعد اشتباكاتها المتواصلة مع تعزيزات العدو القادمة من كوتلنيكوفو ولذلك لم تحقق نجاحا باهرا . ان الهزيمة في ستالينغراد تعني بالنسبة الى العدو كارثة لوجوده الاستراتيجي في البلاد . ولذلك فقد حاول المستحيل لتركيز مواقعه واستقرارها ريثما يستطيع بادىء ذي بدء ان يحول قسما من مجموعته (أ) في القوقاس الى جبهة ستالينغراد ولتحقيق هذه الغاية حشد العدو قوات كبيرة في منطقة نهر الدون بقيادة الفيلد ماريشال ارينج فون مانشتاين. كان هذا القائد بالنسبة الى القيادة النازية العليا افضل رجل للقيام بهذه المهمة . ان الحشد الالماني في منطقة نهر الدون كان قد استقدم من سائر قطاعات الجبهة السوفياتية الالمانية ومن فرنسا والمانيا . وكما نعلم قام مانشتاين بتشكيل قوات صاعقة في محاولة لفك الحصار عن قواته في ستالينغراد اذ قامت قوة من مجموعته هذه بالمرابطة في كوتلينكوفو ورابطت الاخرى في تولموزن . الا ان الحظ لم يحالف مانشتاين او القوات المحاصرة . ان الفهرمخت كان يشكو

حدة النقص في احتياطه والمسافات الشاسعة عبر الاتحاد السوفياتي التي كان يفترض ان يجتازها للوصول الى اهدافه . ان قوات حرب العصابات التي شكلتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ومنظماتها المختلفة كانت عائقا اساسيا في وجه قوات العدو على الطرقات التي كان يسلكها للوصول الى اهدافه .

مر الوقت ولم تتمكن القوات الالمانية من نجدة محاصريها في ستالينغراد في الاوقات الحاسمة . لقد حلت الكارثة بالقوات الالمانية المحاصرة بعد ان امر هتلرمانشتاين بشن الهجوم ريثما تصل اليه التعزيزات . قام مانشتاين بالهجوم في ١٢ ك ١ سالكا سكة الحديد في كوتلسنيكوفو . تألفت قواته هذه من فرقتي الدبابات ٦ و ٢٣ ثم لحقت بها الفرقة ١٧ وفرقة اخرى ضخمة من دبابات « النمر » واربع فرق مشاة ووحدات اخرى من التعزيزات وفرقتا خيالة من القوات الرومانية . وفي مدى ثلاثة ايام تمكنت القوات الزاحفة هذه من ان تقترب مسافة ٢٥ ميلا من ستالينغراد مجتازة نهر اكسي ـ يوزولوفسكي .

نشب قتال عنيف قرب فرخني ـ كومسكي وتكبد الجانبان خسائر جسيمة الا ان العدو تابع الزحف بقطع النظر عن هذه الخسارة . وقد دافعت القوات السوفياتية بعناد وصمود بطولي عن مواقعها . لم تنسحب عناصر من اللواء ٥١ وقوات الخيالة بقيادة شابكن عبر نهر ميشكوفا الا بعد ان قذف العدو الى المعركة فرقة الدبابات ١٧ تساندها قوات جوية هائلة كانت تقصف مواقعنا باستمرار . عندها تنفس الالمان الصعداء واعتقدوا ان نهاية المدينة قد اقتربت . الا ان اعتقادهم هذا لم يتحقق . وبناء على اوامر من القيادة العليا قام الماريشال فاسيلفسكي في

١٩ ك ١ بتعزيز الجبهة السوفياتية بلواء الحرس الثاني بقيادة الجنرال مالينوفسكي وبمساندة هذا اللواء المجهز باحدث الدبابات والمدفعية رجحت الكفة السوفياتية في هذه المعركة •

في هذه الاثناء عززت الجبهة الغربية باللواء السادس من جبهة فورونيج وشنت هجومها في ١٦ ك ١ في محاولة لدحر قوات العدو في حوض الدون الوسطي وتابعت زحفها باتجاه مؤخرته في تورموزن • تألفت القوات المهاجمة هذه من لواء الحرس الاول بقيادة الجنرال كوزنتسوف ولواء الحرس الثالث بقيادة الجنرال ليليوشنكو • فاستطاعت ان تتغلب على اللواء الايطالي الثامن وتابعت تقدمها باتجاه قطاع موروزوفسك • كان يقود المقدمة فرقتا الدبابات ٢٤ و ٢٥ وفرقة الحرس الآلية الاولى • وقامت فرقتا الدبابات ١٧ و ١٨ الى اليمين بالتقدم نحو ميليروفو • لقد اعتمد مانشتاين ان يستخدم قواته في تورموزن في هجوم مركز على ستالينغراد • الا ان تقدم قوات الجبهة الجنوبية الغربية السريع قطع عليه المجال وارغمه على التراجع الى مقر تجمعاته في حوض الدون • وفي برقية بعث بها الجنرال فاتوتين في ٢٨ ك ١ الى القيادة العليا في موسكو وصف المعركة على النحو التالي :

واجهنا العدو بـ ١٧ فرقة مختلفة فسحقناها جميعا وأسرنا من قواتها حوالي ٦٠ الفا وقتلنا عدوا آخر مماثلا وبات الباقي ضعيف المقاومة • لا زال العدو يقاوم على الخط الممتد من اوبليفسكا الى فيرخني – شيرسكي • وفي موروزوفسك أسرنا عناصرا من فرقة الدبابات ١١ والسرب الجوي ٨ المواجهة لقوات رومننكو • قوات ليليوشنكو والوحدات المتحركة تلاقي مقاومة عنيفة من وحدات العدو التي عبرت نهر الدون من

منطقة كوتلنيكوفو الى الخط الممتد من شرتشكوفسكي وموروزوفسك وسكوسرسكايا تتسنسكايا .

تحاول قوات العدو الاحتفاظ بهذا الخط لتوقف زحف قواتنا المتحركة تسهيلا لانسحاب قوته . وقد يحاول العدو من ناحية اخرى وفي الظروف الملائمة ان يشن من هذا الخط هجوما لنجدة قواته المحاصرة في ستالينغراد . الا ان خطته هذه لن تنجح وسنعمل كل ما بوسعنا لقطع المجال عليه من هذه النافذة . وتفيد استكشافاتنا الجوية عن وصول امدادات يومية للعدو من مناطق روسوش وستاروبلسك وفوروشيلوفغراد وشيونونكا وكامنسك ولينحايا وزفيريغو . من الصعب التكهن عن نوايا العدو الا انه يبدو مصمما على تعزيز خطوط دفاعه في منطقة الدونتس الشمالية ، وعليه اولا ان يغلق فتحة المائتي ميل التي فجرتها قواتنا . من المستحسن ان نواصل ضغطنا الحالي على العدو وفي هذه الحالة يلزمنا مزيد من التعزيزات اذ ان قواتنا مشغولة الآن بتنفيذ عملية « زحل الصغير » . يلزمنا كذلك تعزيزات اضافية لتنفيذ عملية « زحل الكبير » .

وقد اجبت ستالين بالبرقية التالية :

مهمتك الاولى هي اخراج (قوات) بادنوف من مأزقه بمساعدة بافلوف وروزيانوف . كنت على حق عندما سمحت لبادنوف بالتخلي عن تتسكايا في الحالات الطارئة ، من المستحسن ان تستخدم فرقة مشاة الى جانب فرقة الخيالة ٨ في هجومك على العدو في تورموزن . ان ارسالك فرقة الخيالة ٣ واحدى فرق الرماة الى سوفوروفسكي باتجاه

تورموزن كان عملا حكيما وموقوتا • لقد ارسلنا اليك فرقتي الدبابات ٢ و ٢٣ لتحويل عملية زحل الصغير الى عملية زحل الكبير • وفي غضون اسبوع ستتسلم فرقتي دبابات اضافيتين واربع فرق رماة • لدينا بعض المخاوف والمحاذير حول فرقة الدبابات ١٨ التـــي تنوي ارسالها الـى سكوسرسكايا • من الافضل ان تبقيها مع الفرقة ١٧ حول مليروفـــو وفيرخني ـ ترازوفسكي • يجب ان تضع في ذهنك انه في المسافـات الشاسعة تزحف فرقتين فرقتين لا فرقة فرقة والا تعرضت للسقوط والفشل تماما كما حدث للقائد يادنوف •

ثم سألناه هاتفيا :

اين موقع فرقة الدبابات ١٨ الان ؟

ـ شرقي مليرونو ولا يمكن عزلها •

ـ تذكر يادنوف ولا تنساه ، اخرجه من مأزقه !

ـ سأحاول اقصى جهودي لاخراجه •

وقد برز في هذه العمليـــة فرقة الدبابـــات ٢٤ بقيادة الجنـــرال بادنوف • لقد تقدمت مسافة ١٢٥ ميلا في مدى خمسة ايام واستعـادت تتستسكايا عازلة بذلك سكة حديد ليخايا ـ ستالينغراد • عندها تمكن العدو من عزل فرق بادنوف بقواته المتفوقة التي استقدمها من قطاعـــي كوتلنيكوفو وتورموزن • الا انهذه القوات المعزولةدافعت عن خطوطها

بعناد وصبر والحقت خسائر فادحة بالعدو واستطاعت في النهايـة بمهارة قائدها ان تتخلص من فخ العدو ـ ونظرا لمساهمة الفرقة ٣٤ في دحـر العدو في قطاع نهري فولغا ـ الدون حولت الى فرقة حرس الدبابـات الثانية ومنح قائدها وسام سوفوروف من الدرجة الثانية . كما منـح رجاله ومعاونوه نياشين اخرى .

ان نجاح هجمات الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة ستالينغراد علـى العدو في قطاعي كوتلنيلوفو وموروزوفسكي قضى على امل قـوات باولس المحاصرة في ستالينغراد . لقد نجحت قواتنا في تنفيذ مهمتهـا بقطع المجال على محاولة مانشتاين في الوصول الى المحاصرين .

وفي اوائل ك ٢ كانت قوات فاتتوتن قد وصلت الى الخط الممتـد من نوفايا ـ كالينفا وكريجكوي وشيرتكوفو وفولوشينو وميليروفـو الى موروزوفسك مهددة بذلك القوات الالمانية في القوقاس وفي نهايـة ك ١ انسحبت القوات الالمانيـة في كوتلنيكوفـو الى خط يمتد مـن تسمليانسكايا ـ وجوكوفسكايا وديوبوفسكـوي الى زيموفنيكي . وانسحب العدو كذلك من تورموزن الى الخط الممتد من شيدنيشكوفسكي ولوزنوي الى تسمليانسكايا . وعليه فشلت محاولة مانشتاين في خرق جبهتنا الخارجية لنجدة القوات المحاصرة في ستالينغراد . وبعد ان يئس المحاصرون من امكانية الافلات من الحصار بدأوا يمنون النفس باجتناب الكارثة قبل فوات الاوان بالاستسلام او غيره .

بعد سقوط جميع المحاولات التي قامت بها القيادة النازية وزعاماتها السياسية لانهاء حالة الحصار ، اصدرت اوامر مشددة الى قادة المحاصرين

تدعوهم فيها الى الصمود والصبر ريثما تتمكن القيادة النازية العليا من استقدام التعزيزات من القوقاس لفتح جبهة جديدة تستطيع ان تشن هجوما مركزا على الطوق السوفياتي لكسره وتخليص المحاصرين • لقد تنبهت القيادة السوفياتية العليا الى هذا الاجراء وسارعت الى تصفية القوات الالمانية هذه باسرع وقت ممكن كي يسهل عليها تحويل قسم من قوات الطوق الى عمليات اخرى في القوقاس والجنوب •

كان ستالين يحث قادة الجبهة باستمرار • وفي نهاية ك ١ ، في اجتماع عقدته لجنة الدفاع القومي اقترح ستالين انيقود عمليات تصفية العدو المحاصر قائد منفرد الصلاحيات • فوافق اعضاء اللجنة للحال •

الى من ستسند مهمة تصفية العدو ؟ اقترح بعضهم اسناد المهمة الى روكوسوفسكي • ثم التفت الي ستالين وقال : لماذا لا تتكلم ؟ قلت : في رأيي ان كلا من روكوسوفسكي وبرمنكو يتمتع بالمؤهلات التي تخوله ذلك •

وفي العشية نفسها اتصلت بالقائد برمنكو بواسطة الخط السري المأمون وقلت له ان لجنة الدفاع القومي قد قررت اسناد تصفية العدو المحاصر في ستالينغراد الى القائد روكوسوفسكي وعليك انت ان تنقل الالوية ٥٧ و ٦٤ و ٦٢ من ستالينغراد الى جبهة نهر الدون • فقال برمنكو : وكيف توصلتم الى هذا ؟ • فشرحت له الملابسات والاعتبارات التي ادت الى هذا القرار •

كان لا يزال على قيادة جبهة ستالينغراد ان تستمر في الاشراف على

تنفيذ عمليات الجبهة في قطاع كوتلنيكوف • وبعد وقت قصير استبدل اسم هذه الجبهة باسم الجبهة الجنوبية التي بدأت بعملياتها ضد العدو في قطاع روستوف •

وبناء على امر من القيادة العليا في ٣٠ ك ١ نقلت ألوية جبهة ستالينغراد او الثلاثة التي اصبحت الجبهة الجنوبية الى جبهة نهر الدون • وفي اوائل ك ٢ اصبح تعداد جبهة الدون ٢١٢ الف رجل و٦٥٠٠ مدفع ومدفع هاون و ٢٥٠ وبابة و ٣٠٠ طائرة بكامل عتادها وذخيرتها وفي نهاية ك ١ اصبحت العمليات العسكرية ضد العدو في كوتلنيكوف وتورموزن وموروزفسك هم فاسيلفسكي الاول • وقد عين الجنرال فورونوف ممثلا القيادة العليا لدى جبهة الدون حيث رسم مع اعضاء مجلسها العسكري الخطة النهائية لتصفية العدو المحاصر في ستالينغراد• وبعد ان رفعت هذه الخطة الى القيادةالعليا وهيئة الاركانالعامة اصدرت الاوامر التالية الى الجنرال فونوروف :

في نظر القيادة العليا مهمتك الرئيسية في المرحلة الاولى من العملية هي عزل تجمعات العدو الغربية وتدميرها في مناطق كرافتسوف وبايوركينو ومارينوفكا وكاريوفكا • ويتحقق هذا بانطلاق الهجوم باتجاه دميتريفكا ومزرعة الدولة رقم ١ وبايوركينو نحو محطة كاريوفكا • ويشن هجوم اضافي آخر من منطقة كرافتسوف وسكليياروف في محاولة للالتقاء الهجومي في محطة كاريوفكا ـ ويقوم كذلك اللواء ٦٦ بهجوم من اورلوفكا باتجاه جالية كراسني ـ اوكتيابر للانضمام الى اللواء ٦٢ الذي يكون قد عزل قوات العدو في منطقة المصنع

من تجمعاته الرئيسية في المدينة • وقد اصدرت القيادة العليا تعليماتها اليكم لاعادة النظر بالخطة الذي رفعتموها الينا والعمل بموجب هذه التعليمات • ان الوقت الذي حددتموه لبدء عملياتكم قد نال الموافقة • الا ان المرحلة الاولى من العملية يجب ان تتم في غضون الستة ايام • عليكم ان ترفعوا الى هيئة الاركان العامة مخططكم للمرحلة الثانية من العملية قبل حلول ٢٩ ك ٢ على اساس نتائج المرحلة الاولى •

ج • ستالين

ج • جوكوف

رقم : ١٧٠٧١٨

٢٨ ك ١ ـ ١٩٤٢

وفي كانون الثاني استطاعت قوات الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة ستالينغراد ان ترجع قوات العدو المعتصمة في الجبهة الخارجية في منطقة حوض الدون الى مسافة ١٥٠ ميلا نحو الغرب • وعليه تدهور موقف العدو في هذه الحلقة ولم يأنس من اي امل في الخلاص لصعوبة وصول الامدادات اليه • وقد فرض العدو التقنين على جنوده وامتلأت مستشفياته بالمرضى من مجاريح وجائعين • ان الكارثة المحتمة كانت تنتظرهم •

ولكي تضع القيادة العليا حدا لهدر الدماء امرت قيادة العدو في جبهة الدون ان تستسلم بلوائها السادس تحت شروط مقبولة بوجه عام. اما القيادة النازية فقد رفضت الانذار وامرت جنودها بمتابعة القتال حتى آخر رصاصة ريثما يقطع الامل من وصول نجدات اليها • وفي ١٠ ك ٢ بدأت قواتنا في جبهة الدون تساندها المدفعية بشق طريقها الى قلب العدو شبرا شبرا الا انها لم تستطع ان تحقق كامل اهدافها • فشنت هجوما ثانيا في ٢٢ ك ٢ بعد استعدادات اضافية وارغمت العدو على التراجع •

لقد وصف احد ضباط الاستخبارات في لواء فان باولس السادس في مذكراته عن انسحاب القوات الالمانية بقوله : لقد ارغمنا على التراجع والانسحاب من كامل الجبهة • وكان الانسحاب على صورة هروب مخيف وتناثرت الاشلاء على الثلج على جنبات الممرات التي سلكناها وانتهى الانسحاب على غير هدى دونما اوامر •

ثم تابع هذا الضابط فيقول :

وفي سباق مع الموت الذي يجد طريقه الينا دون عناء وينهش منا الاشلاء ، كان الجيش يشعر بشد الخناق عليه وقذفه الى جحيم •

وفي ٣١ ك ٢ تم استسلام قوات العدو الجنوبية بقيادة الفيلد ماريشال فان باولس اما القوات الشمالية فقد استسلمت في ٢ شباط وبهذا كانت نهاية المعركة الكبرى على نهر الفولغا والتي وصلت اصداء

نتائجها الى مسامع العالم لان العدو كان يحشد في هذه المعركة قوات من دول المحور بالاضافة الى قواته الضخمة •

ان معركة ستالينغراد كانت ضارية ولا يمكنني ان اشبهها بمعركة موسكو وفي المدة بين ٢٩ ت ٢ و ٢ شباط دمرنا ٣٢ فرقة و ٣ كتائب وخسرت الـ ١٦ فرقة الاخرى بين ٥٠ ــ ٧٥ بالمئة من قوتها •

وقد بلغت خسائر العدو في جبهة الدون والفولغا وستالينغراد مليون ونصف مليون رجل و ٣٥٠٠ دبابة و ١٢٠٠٠ مدفع مختلف و ٣٠٠٠ طيارة ومعدات اخرى ضخمة • ان خسارة من هذا المدى كان لها وقع قوي على موقف العدو الاستراتيجي وهزت كيانه العسكري من اساسه•

ان انتصارنا في ستالينغراد كان منطلق التحول لصالحنا بطرد العدو من هذه المنطقة • لقد انتظرنا هذه النتيجة طويلا كي نضع حدا لوحشية العدو واراحة الشعب السوفياتي من عناء العمل المستمر المرهق في تزويد جبهاته بما تحتاج اليه من سلاح وعتاد ومواد غذائية • ان الابناء الامناء والابرياء في روسيا واوكرانيا وبيلوروسيا والبلطيق والقوقاس وكازاخستان وآسيا الوسطى قد خلدوا مجدا بصمودهم وبطولاتهم الجماعية •

ان الضباط والقادة والجنود الالمان بدأوا يشعرون بكراهية نحو

هتلر والزعامة النازية • ان الشعب الالماني بدأ يفهم حقيقة هتلر واعوانه الذين جروا البلاد الى مجازفة خطيرة ادت الى الكارثة • ان وعود هتلر لشعبه بالنصر قد تبددت منذ اللحظة التي سقط فيها العدو في حوض الدون والفولغا وشمالي القوقاس • ان الهزيمة الهتلرية في ستالينغراد قد أرعبت الشعب الالماني وجيشه معا كما وصف الجنرال وستفال ذلك بقوله : لم يحدث في تاريخ المانيا ان يلاقي جيشها مثل هذا المصير المخيف •

ان سحق القوات الالمانية والايطالية والهنغارية والرومانية في الفولغا والدون قد اثر الى حد بعيد على شخصية المانيا بين حلفائها • ان الهزيمة هذه كانت منطلقا لمختلف التكهنات وعاملا اساسيا في تدهور الرغبة عند حلفاء المانيا والبلدان التي احتلتها وارغمت جيوشها على القتال الى جانبها في متابعة قتالها وراحت تنسحب من ميادين الحرب التي جرها اليها الزعماء الهتلريون •

ان النصر السوفياتي كان عاملا جوهريا في قلب مخططات الدول المنتظرة والمتفرجة وفي تبديل نظرة الدول المحايدة الى الاتحاد السوفياتي وارغمت على الاعتراف بوجوده السياسي والمعنوي •

يذكر كل منا موجة الفرح التي اجتاحت العالم بعد اعلان هزيمة العدو في ستالينغراد والهمته على مواصلة زحفه الى قلب العدو •

لن انسى الأستعدادات الدفاعية والهجومية ومساهمتي في العمليات الاخرى في الجنوب • ان ذلك كله قد اكسبنا خبرة في تنظيم وتنسيق عمليات الهجوم العام • وفي عام ١٩٤١ اثناء معركة موسكو حيث كان ينقصنا قوات مدربة بكامل معداتها وذخيرتها للقيام بعمليات الاختراق والتطويق كنا نكتسب الخبرة اللازمة بعد لمواجهة عدو من هذا الوزن والوحشية •

وفي اشرافي العام على الهجوم على قوات العدو المرابطة حول ستالينغراد واستنادا الى نتائج هذا الهجوم ، كنت بين الذين منحوا وسام سوفوروف من الدرجة الاولى •

ان منحي هذا الوسام قد جسد ، بالاضافة الى الشرف الذي نلته ، امل البلاد ورمزها في الانتصار النهائي على العدو ومطلبها مني في تحقيق المزيد مما تصبو اليه • وقد منح فاسيلفسكي نفس الوسام من الدرجة الثانية • ومن بين الاخرين الذين منحوا هذا الوسام من الدرجة الاولى هم فورونوف وفاتولن ويرمنكو وروكوسوفسكي • وقد منح كذلك عدد كبير من الجنرالات والضباط والرقباء والجنود اوسمه ونياشين اخرى عالية • ان الهزيمة الالمانية في ستالينغراد والدون والفولغا والقوقاس قد خلقت لنا ظروفا ملائمة لتوسيع هجومنا حتى يشمل جميع جبهاتنا في الجنوب الغربي • وبعد عمليات الدون والفولغا قمنا بعمليات ناجحة اخرى في اوستروغوجاك ـ روسوش وفورونيج ـ كانتودنوي • وفي هجومنا الشتوي الضاغط باتجاه الغرب استطعنا ان نستعيد

روستوف ونوفوشيركاسك وكورسك وخاركوف واماكن رئيسيـــــة اخرى • وعليه فقد تدهور الموقف الالماني عمليا واستراتيجيا على طـول الجبهة الهتلرية السوفياتية • ان الشعب السوفياتي وقـد الهبـه النصر المبين على العدو ، صمم على اتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة بالانتصـار على المانيا النازية بالذات بعد تسليح جيشه بما يلزمه من اسلحة حديثة وآليات •

- ١١ -

ربيع عام ١٩٤٣

ان معركة كورسك كانت واحدة من المعارك الكبرى والفاصلة في الحرب العالمية الثانية • لقد نقلت هذه المعركة زمام المبادرة الاستراتيجية الى قبضة السوفيات • في هجومنا على قوات العدو في اوريل وبلغورود وخاركوف انزلنا ضربة قاصمة بالآلة النازية العسكرية وارغمنا القيادة الفاشيستية على التخلي عن مواقعها الاستراتيجية الهجومية والاقتصار على المواقف الدفاعية فقط •

كيف كان الموقف في صيف عام١٩٤٣ وما كانت مخططات العمليات العسكرية عند الجانبين ؟ ما هي الخبرة التي اكتسبها السوفيات في معركة كورسك في العلم السوفياتي الحربي ؟ بوصفي قائدا اعلى بالوكالة (تسلمت هذا المنصب في آب ١٩٤٢) وقد لعبت دورا مباشرا في التخطيط لهذه المعركة وتنسيق عملياتها في المرحلتين الدفاعية والهجومية •

اركز فيما يلي على النقاط التي لم تشرح بوضوح في هذا الكتاب حتى الساعة :

بعد هزيمة القوات الالمانية والرومانية والايطالية والهنغارية في الفولغا والدون وشمالي القوقاس في اواسط آذار تراجع العدو ، بعد ان تكبد خسائر فادحة ، الى الخط الممتد من سافسك وريلسك وسومي واختيركا وكراسنوغراد وسلافينسك وليزيشنك الى تاغنروغ • وفي ١٥ آذار هدأت الاوضاع على معظم الجبهات الا ان القتال ما زال مستمرا في قطاعات فورونيج والجبهتين الجنوبية ــ الغربية والجنوبية والسهل الكوباني •

ان القيادة الالمانية العليا بعد استجماع قواها شنت هجوما عنيفا على الجبهة الجنوبية الغربية في النصف الثاني من شباط في محاولة لوضع حد في تدهور مواقعها على الجناح الجنوبي من الجبهة • واهدافها من ذلك ارجاع القوات السوفياتية الى ما وراء نهر الدونتس الشمالي حيث يسهل على العدو اقامة خطوط دفاعية في هذه المنطقة وضرب القوات السوفياتية في جبهة فورونيج للاستيلاء على خاركوف وبلغورود • وكما نعلم الان من المستندات التي وقعت بين يدينا فان القيادة النازية كانت قد املت في ان توسع عملياتها في الظروف الملائمة لتصكية دفاعنا في كورسك •

في ربيع عام ١٩٤٣ كنت في الجبهة الشمالية الغربية بقيادة الماريشال تيموشنكو • لقد نشبت هناك معركة حامية الوطيس لتصفية عناصر العدو في دمياتسك شرقي ستارايا ــ روس • كانت قواتنا قد بلغت

نهر نوفات وتحاول عبوره . وفي ١٣ آذار على الاغلب اتصل بي ستالين هاتفيا لاطلاعه على الوضع في نهر لوفات . واقترحت عليه تأجيل عملية عبور النهر حاليا ريثما تؤاتي الفرصة لذلك .

وافق ستالين على اقتراحي ثم طلب مني العودة الى مقر القيادة العليا للبحث في امور الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة فورنيج ومستقبل العمليات العسكرية القادمة فيها .

وصلت موسكو في ساعة متأخرة من تلك العشية واتصلت بالكرملين هاتفيا . وعلمت ان ستالين كان قد جمع حشدا من الخبراء للبحث في امور الانتاج والتموين اللازمين لمواصلة تصفية العدو في الاراضي السوفياتية . وحضر الاجتماع كذلك بعض اعضاء المكتب السياسي والوزراء والمصممون والمهنوسون ومدراء المصانع . وتبين نتيجة الاجتماع ان الصناعة ما زالت تعاني ظروفا قاسية في حقل الطيران والدبابات والمدفعية والذخيرة لها وان المساعدات الاميركية على اساس الاعارة والتأجير كانت ترد بصورة بطيئة ، استمر الاجتماع حتى الثالثة صباحا . وبعد ان غادر المجتمعون سألني ستالين :

ـ هل تناولت العشاء بعد ؟

ـ لا .

ـ اذن تعال معي فسنجد ما نأكله وفي الوقت ذاته سنبحث مصاعب الموقف في خاركوف .

دخل علينا احد الضباط من هيئة الاركان العامة وسلمنا خريطة عن الموقف في جبهتي فورونيج والجنوبية الغربية • واعلن هذا الضابط المسؤول عن جبهة فورونيج ان الموقف قد تدهور للغاية وبصورة خاصة جنوبي غربي خاركوف • لقد شنت قوات العدو هجوما قرب بولتافا وكراسنوغراد وشد الخناق على قواتنا عند ملتقى الجبهتين •

وبعد ساعتين كنت في مطار موسكو المركزي لاطير الى مقر قيادة فورونيج • كان علي ان استطلع الموقف هناك واتخذ الاجراءات الفورية اللازمة في محاولة لاصلاح موقفنا المتدهور في خاركوف • وفي اليوم ذاته تكلمت مع القائد الاعلى بواسطة الخط السري المأمون ووصفت له الموقف في جبهة فورونيج • وبعد استيلائها على خاركوف تابعت القوات الالمانية زحفها باتجاه بلفودور دون مقاومة تذكر • وقد احتلوا الان كازتيا ـ لوبان • اخبرت ستالين انه من الضروري استقدام التعزيزات من احتياط القيادة العليا والجبهات المجاورة الى هذه المنطقة والا تمكن

وبعد ساعتين علمت من فاسيلافيسكي رئيس هيئة الاركان العامة العدو من اجتياح بلفورود باتجاه كورسك •

ان ستالين قد أمر بنقل اللواءين ٢١ و ٦٤ ولواء الدبابات الاول الى قطاع بلفورود •

وفي ١٨ آذار دخلت دبابات العدو بلفورود الا انها لم تستطع التقدم الى الشمال • وقد اخبرني الجنرال كوزن قائد لواء الحرس ٥٢ بأن الجنرال شيشياكوف قائد اللواء ٢١ قد ارسل فصيلة بقيادة

اللفتنانت كولونيل بنتيوخوف قائد كتيبة الحـــرس ١٥٥ الى بلفورود لمواجهة العدو ومحاولة أسر بعض عناصره • قامت الفصيلة هذه بنصـب كمين لطلائع فرقة الدبابات قرب شابينو شمالي بلفـورود وأسرت بعض عناصرها • وعليه علمنا ان الالمان كانوا يزحفون باتجاه اوبويان • وفي ساعة متأخرة من ذلك اليوم كنا قد ركزنا قواتنا الرئيسية من فرقـــة الحرس ٥٢ شمالي بلفورود وبهذا استطعنا ان نخرج العدو من مواقـع دفاعه •

وفي عشرين آذار قام اللواء (٢١) بتركيز مواقع دفاعه شمالـي بلفورود وقامت بعض عناصر فرقة الدبابات الاولى بحشد احتياطها جنوبي اوبويان • وفي نهاية آذار قام العدو بعدة هجمات فاشلة على مواقـــع خطوطنا الدفاعية قرب بلفورود وعلى طول نهر الدونتس الشمالي حيث كان يرابط اللواء ٦٤ • ونظرا الى الخسارة الكبرى التي تكبدها العدو راح يحصن مواقعه للدفاع • ومنذ ذلك الوقت بدأ الموقف يستقر نوعا ما على هذه الجبهة باعتبار ان الجانبين يتخذان موقف الدفاع وتحصين مواقعهما بانتظار الهجوم الكبير فالمعركة الفاصلة •

في مسعاه لتقوية جبهة فورونيج عين ستالين الجنرال فاتوتن قائدا لها • وبنشاط مميز عمل فاتوتن على اقامة خطوط دفاعية عميقة متراصة • وقد زرت برفقته معظم قادة الجبهات لمعاونتهم على دراسة المواقـــف وتنسيق العمليات العسكرية بين مختلف القطـاعات فـي حالـة هجوم العدو • لقد استأثر اهتمامي اللواء ٥٢ بعد ان زرت قطاعه وتلمست مراكز الضعف فيه التي سيستغلها العدو في هجومه وتوجيه ضرباته • فقررنـا بالاتفاق مع قائد اللواء ان نعززه بالمدفعية الثقيلة • اتخذت هيئة الاركان

العامة بالتشاور مع قادة الجبهة عـــددا من التدابير لتأمين اعمـــال الاستخبارات في جميع قطاعات الجبهات الثلاث : الوسطى وفورونيـج والجنوبية الغربية • اصدر فاسلفسكي اوامـــره الى قادة الجبهـات لاستسقاء المعلومات واستقصاء الحقائق حول مواضع احتياط العـــدو واحتشاد قواته المستقدمة من فرنسا والمانيا والبلدان الاخرى •

وفي الحال بدأ قادة الجبهات بعمليـــات الاستطلاع الارضيـة والاستكشافات الجوية لتعيين هذه المواقع وكشفها • وفي اوائل نيسان كنا قد تسلمنا معلومات متوافرة عن قوات العدو قرب اوريل وسومـي وبلفورود وخاركوف • وبعد ان تفحصنا هذه المعلومات وبحثناها مع قادة الجبهات الثلاث ومع رئيس هيئة الاركان ، رفعت فـي ٨ نيسان التقرير التالي الى ستالين :

الرفيق فاسيلياف :

ارفع اليكم هذا التقرير عن عمليات العدو المحتملة في ربيع وصيف ١٩٤٣ القادمين وعن استنتاجاتي وتوصياتي حول عملياتنا الدفاعية فـي القريب العاجل :

١ ــ بعد ان تكبد خسائر فادحة خلال حملته الشتوية (١٩٤٢ ــ ١٩٤٣) لا يبدو العدو قادرا خلال الربيع القادم ان يحشد احتياطيا كافيا لاستئناف زحفه الى القوقاس باتجاه الفولغا في محاولة لعزل موسكـو بمناورة جريئة غائرة • ونظرا الى نقص الاحتياط عند العدو فانه سيقتصر هجومه على الربيع والنصف الاول من الصيف في جبهة ضيقـة على ان

يخطط لهجوم موسع مرحلة مرحلة بقصد الاستيلاء على موسكو عام ١٩٤٣ • ان وجود قوات العدو حاليا تجاه قواتنا في الجبهات الثلاث لدلالة على قيمة العدو في ضرب هذه القوات لفتح ممر الى موسكو ومحاولة الاقتراب منها الى ابعد حد •

٢ ـ في المرحلة الاولى سيحاول العدو على ما يبدو حشد ما يقارب ١٣ فرقة دبابات مع التغطية الجوية اللازمة للانقضاض على كورسك من الشمال الشرقي بمساعدة قوات اوريل ـ كرومي من الجنوب الشرقي وبمساعدة قوات بلفورود ـ خاركوف • كما انه من المتوقع ان يقوم بانقضاض آخر على قواتنا الغربية قرب فورجينا بين نهري سيم وبسيل للاشراف على كورسك من الجنوب الغربي • وبهذا الهجوم يأمل العدو ان يتمكن من تطويق الويتنا ١٣ و ١٧ و ٦٥ و ٦٠ و ٣٨ و ٤٠ و ٢١ • والهدف النهائي من المرحلة الاولى هو استيلاء العدو على الخط الممتد من نهر كوروشاومدينتي كوروشا وتيم الىنهر تيمومدينة دروسكوفو •

٣ ـ وفي المرحلة الثانية يحتمل ان يشن العدو هجوما على جناحي الجبهة الجنوبية الغربية ومؤخرتها باتجاه فالويكي ويورازوفو • ويحتمل كذلك ان يتبع هذا الهجوم هجوم آخر ينطلق من منطقة ليسيشانسك شمالا باتجاه سفانوفو وبورازوفو • وقد يزحف باتجاه الخط الممتد من ليفني وكستورنوي وستاري ـ اوكسول الى توفي ـ اوكسول •

اما في المرحلة الثالثة وبعد ان يستجمع قواه ، فان العدو سيحاول الوصول الى الخط الممتد من ليسيكي وفورونيج الى يليتش بقصد عزل موسكو من نواحي دانتبورغ ورياجسك وريازان بعد تغطية مضمونة

لجناحه الجنوبي الشرقي •

٥ ــ من المرجح ان يعتمد العدو اعتمادا كبيرا في عملياته الحربية هذه السنة على قوات الجو والدبابات • والدليل على ذلك هو احتشاد ما يقارب الـ ١٦ فرقة وبابات قوامها ٢٥٠٠ دبابة في المواجهة مع قواتنا من الجبهتين الوسطى وفورونيج حول كورسك •

٦ ــ نظرا الى هذه الاخطار يتحتم علينا تقوية جهازنا الدفاعي ضد الدبابات في جبهتي فورونيج والوسطى وحشد ٣٠ كتيبة مدفعية مضادة لدبابات وما يعادلها من القوة الجوية من احتياط القيادة العليا ووضعها تحت تصرف روكوسوفسكي وفاتوشن لاستخدامها عند الحاجة لصد هجوم العدو بآلياته الضخمة هذه نوعا وعددا •

وفي رأيي انتحشد قوات الاحتياطهذه في مناطقبفركوف وليفني وكستورنوي ونوفي ــ لوكسول وفالويكي وروسوش وليسكي وفورونيج ويليتس ورباجسك وراتسبورغ وميشورنسك وتامبوف وتيولا وستالينوغورسك •

وفي رأيي كذلك انه ليس من الحكمة في الوقت الحاضر ان نشن هجمات وقائية بل الاعتصام في مواقعنا الدفاعية لاستنزاف قوة العدو قبل قيامنا بهجوم عام على قواته الرئيسية بما يتوفر لدينا من احتياط ضارب •

كونستانتينوف

في العاشر من نيسان حضر الماريشال فاسيلفسكي الى مقر قيادة جبهة فورونيج فاجتمعت به وبحثنا مضمون التقرير الذي رفعته الى ستالين . ثم ذهبت برفقته الى زيارة قادة الجبهات واشرنا عليهم باعداد تقارير عن مواقف جبهاتهم وتضمينها توصياتهم حول مستقبل العمليات القادمة في معركة كورسك ورفع هذه التقارير الى هيئة الاركان العامة في موسكو .

وفي العاشر من نيسان قام الجنرال مالينين فعلا باعداد تقريره ورفعه الى هيئة الاركان العامة ويتضمن ما يلي :

١ ـ نظرا الى توزيع قواته تحضيرا لعمليات الهجوم يحتمل ان يقوم العدو بحصر هجومه هذا في فصلي الربيع والصيف من عام ١٩٤٣ في منطقة كورسك ـ فورونيج . ولا يحتمل ان يقوم العدو بأية هجمات اخرى على سائر القطاعات ونظرا الى موقف العدو الاستراتيجي العام في هذه المرحلة من الحرب فانه على ما يبدو سيعزز دفاعه في منطقة القرم وحوض الدونته واوكرانيا بقصد الاحتفاظ بخط مفتوح على منطقة شتيروفكا وستاروبلسك وروفنكي وليسكي وفورونيج وليفني ونوفوسيل . الا انه لتحقيق هذه الاهداف يلزم العدو ستون فرقة مشاة مع التغطية الجوية بالاضافة الى مساندة المدفعية والدبابات .ويبدو انها في حوزته في الوقت الحاضر .

ولذلك ارى من الاهمية لفت الانتباه الى عمليات العدو المنتظرة هذه .

(ب) وبناء على هذه الافتراضات تتوقع ان يشن العدو هجومه

بقواته الرئيسية وفي آن واحد على شعاعين متفرعين احدهما داخلي والاخر خارجي على الصورة التالية :

١ ـ هجوم الشعاع الداخلي ينطلق من اوريل وليفني باتجاه كاستورنوي ومن بلفورود واوبوين باتجاه كورسك .

٢ ـ وينطلق هجوم الشعاع الخارجي من اوريل وكرومي باتجاه كورسك ومن بلفورود وستارتي ـ اوسكول باتجاه كاستورنوي .

(ج) اذا لم تتدارك الامر بهجوم مضاد فان العدو في حالة نجاحه بعملياته هذه سيجتاح قواتنا في الجبهتين الوسطى وفورونيج ويستولي على قطاع اوريل ـ كورسك ـ خاركوف .

(د) وحالما يحل الربيع وتذوب الثلوج بفعل الفيضانات فان العدو قد يستجمع قواه تحضيرا لشن هجوم في الاتجاه المذكور ، وفي هذه الحال يرغمنا على استخدام جميع ما لدينا من احتياط لصد هجومه هذا ويحتمل ان يبدأ الهجوم في النصف الثاني من ايار .

نظرا الى مستقبل العمليات القادمة اعرض توصياتي التالية :

(ا) يجب دمج قوات الجبهات الثلاث الغربية وبريانسك والوسطى لضرب تجمعات العدو حول اوريل ومنعه من شن هجومه منها باتجاه كاستورنوي ومنعه من الاستيلاء على متسنسك ـ اوريل ـ كورسك واستعمال سكة حديد بريانسك .

(ب) لتحقيق هذا يجب تعزيز جبهتي فورونيج والوسطى بقوات جوية وبصورة خاصة طائرات مقاتلة وبكتائب مدفعية مضادة للدبابات في مقدمة خطوط المواجهة ٠

(ج) يجب حشد قوات الاحتياط المتوفرة لدى القيادة العليا في مناطق ليفني وكاستورنوي وليسكي وفورونيج ويليتس لدعم مواطن الضعف التي يمكن ان تظهر في اي من قطاعاتنا ٠

اللفتينت جنرال مالينين

رئيس هيئة اركان الجبهة الوسطى

رقم ٤٢٠٣

وقد رفعت قيادة جبهة فورونيج كذلك توصياتها الى هيئة الاركان العامة في التقرير التالي :

الى رئيس هيئة الاركان العامة للجيش الاحمر :

ان قوات العدو التي تجابه جبهته فورونيج الان هي كما يلي :

١ ــ ٩ فرق من المشاة على خط المواجهة (٢٦ و ٦٨ و ٣٢٣ و ٧٥ و ٢٥٥ و ٥٧ و ٣٣٢ و ١٦٧ وفرقة اخرى مجهولة الاوصاف) ٠ ان هذه الفرق ترابط على الخط الممتد من كراسنو ــ اوكتيابرسكوي وبولشايا تشرتنشينا وكراسنوبولي الى كازاتسكوي ٠ لقد افاد بعض الاسرى بنتيجة استنطاقهم ان الفرقة المجهولة الاوصاف كانت سترسل الى

سولدايتسكوي لتحل محل الفرقة ٣٣٢ • الا ان هذه المعلومات هي قيد التحقيق والتحليل • وبالنسبة الى معلومات غير مؤكدة فان مجموعة العدو الثالثة تتألف من ٦ فرق مشاة لم تتعين مواقعها وندأب الان في التحقق من صحة هذه المعلومات وقد التقطت استخباراتنا اللاسلكية تحركات فرقة هنغارية قرب خاركوف باتجاه قطاع ثانوي الاهمية •

٢ ــ ٦ فرق دبابات (المانيا الكبرى ، ادولف هتلر ، راس الموت ، الريخ ، ٦ و ١١) بالاضافة الى ثلاث فرق على خطوط المواجهة وثلاث فرق اخرى (المانيا الكبرى ، ٦ و ١١) على الخط الثاني •

وبالنسبة الى استخباراتنا اللاسلكية فان مقر قيادة فرقة الدبابات ١٧ هو قيد النقل من الكسبيفسكوي الى تارانوفكا مما يشير الى ان العدو ينقل كامل الفرقة الى الشمال • وكما نستدل من مواقع هذه القوات فان العدو سيكون باستطاعته ان ينقل الى المعركة ثلاث فرق دبابات اضافية من الجبهة الجنوبية الغربية الى منطقة بلفورود •

٣ ــ وعليه تتوقع ان يقوم العدو بضربة فعالة على طول جبهة فورونيج تسانده في ذلك عشر فرق دبابات قوامها ١٥٠٠ دبابة وست فرق مشاة على الاقل وتجمعات اخرى من وحدات الاحتياط حول بوريزوفكا وبلفورود وميوروم وكازاشيا ولوبين • ان قوات العدو هذه سيساندها ما لا يقل عن ٥٠٠ قاذفة و٣٠٠ مقاتلة •

ان العدو كان يهدف من ذلك توجيه ضربات مركزة من منطقة بلفورود باتجاه الشمال الشرقي ومن اوريل باتجاه الجنوب الغربي بقصد

تطويق قواتنا غربي خط بلفورود ـ كورسك • ولذلك نتوقع ايضا ان يشن العدو هجوما عنيفا من الجنوب الشرقي على جناحي الجبهة الجنوبية الغربية ومؤخرتها كي ينفتح له المجال بالتوجه شمالا فيما بعد •

من المحتمل الا يوجه العدو انظاره شطر الجنوب الشرقي هذهالسنة وسيعتمد بديلا لذلك خطة هجومية شطر الشمال الشرقي للمشارفة على موسكو بعد محاولات انطلاقه من منطقتي بلفورود واوريل • يجب علينا ان تتنبه لهذه الخطة فيما اذا ثبتت صحتها •

وباختصار فان العدوسيشن هجوما رئيسيا على طول جبهة فورونيج انطلاقا من منطقة بوريزوفكا وبلفورود باتجاه ستاري ـ اوسكول ، وموجها قسما من قواته نحو اوبويين وكورسك • الا انه في الوقت الحاضر لا يمكنه القيام بمثل هذا الهجوم • وليس من المحتمل ان يبدأ هجومه قبل ٢٠ نيسان او في اوائل ايار على اقرب تعديل • الا انه قد يقوم بهجمات متفرقة في اي وقت وعلى قواتنا تبعا لذلك ان تكون على اهبة الاستعداد •

فيدوروف

نيكيتين

فيدولوف

رقم ٥٥ رك

ان القيادةالعليا لم تكن بعد قد توصلت الى وضع خطة عامة لعملياتها خلال فصلي الربيع والصيف في معركة كورسك • ولذلك قامت باصدار اوامرها الى قادة الجبهات بالتزام موقف الدفاع في الوقت الحاضر ريثما يتم تشكيل فرق الاحتياط بكامل معداتها وعتادها •

- ١٢ -

مخططات كورسك

في العاشر من نيسان خابرني ستالين هاتفيا في بوبياشيغو مقر قيادة جبهة فورونيج وطلب مني العودة الى موسكو في اليوم التالي لبحث الخطط المتعلقة بحملة فصلي الربيع والصيف من عام ١٩٤٣ بشأن معركة كورسك بصورة خاصة . وصلت موسكو مساء الحادي عشر منه فاجتمعت برئيس هيئة الاركان العامة واخبرني ان ستالين قد طلب اعداد خريطة للموقف تتضمن التوصيات والاستنتاجات هذا المساء . قمت وفاسلفسكي وانطونوف (رئيس العمليات الحربية في هيئة الاركان العامة) باعداد جدول اعمال الاجتماع . اجتمعنا الثلاثة وتدارسنا النقاط الواردة في الجدول وتم الاتفاق على معظمها . قمت وفاسيلفسكي باعداد التقرير وقام انطونوف باعداد خريطة العمليات العسكرية لرفعهما الى القيادة العليا .

اقتنعنا جميعا على انه باستطاعة الماشيا ان تعزز قواتها وتعد لهجوم

واسع النطاق في احد القطاعات الستراتيجية وان الخطر الاكبر يتهدد كورسك.واستنتجنا ان العدو،من زاوية اعتباراته السياسية والاقتصادية والعسكرية ، سيعتمد الجبهة الممتدة من خليج فنلندا الى بحر الازون مهما كان الثمن لشن هجومه على كورسك بقصد سحق قواتنا في الجبهتين الوسطى وفورنيج لأن هذا في حال نجاحه سيرجح الكفة الالمانية ويضمن تصفية المنفذ السوفياتي في كورسك الذي هو بمثابة اسفين في قلب جبهة العدو ، بالنسبة الى المعلومات التي في حوزة هيئة الأركان العامة فان العدو قد يتمكن من شن هجوم على هذا المنفذ من منطقة اوريل جنوبا ومن منطقة بلفورود شمالا . ونعتبر ان العدو سيعتمد موقف الدفاع على القطاعات الاخرى بسبب افتقاره الى الاحتياط اللازم للهجوم على مختلف القطاعات .

في ١٢ نيسان اجتمعنا بستالين فاعارنا انتباهه اكثر من عادته ووافق معنا على حشد قواتنا حول كورسك الا انه ما برح قلقا حول قطاع موسكو . وبعد دراسة مخطط العمل قررنا اعتماد الصحف في خطوط دفاعنا على القطاعات المعرضة لعمليات العدو وعلى كورسك بصورة خاصة . صدرت الاوامر الى قادة الجبهات لتعميق خنادق خطوط دفاعها وقررنا ان نحشد قوات الاحتياط قرب القطاعات المهددة قبل نقلها الى المعركة .

كانت القيادة العليا قد وافقت مبدئيا على الخطة المعروضة ، الا ان الموافقة النائبة كانت في اوائل حزيران بعد ان تاكدنا من اهداف خطة

العدو في ضرب جبهتي فورونيج والوسطى معتمدا على دبابات النمر الضخمة وعلى اسلحة « فرديناند » الالية .

ان خططنا الدفاعية كانت وليدة التطورات ولم تفرضها علينا الاحداث قسرا . اما خطة الهجوم فستكون وليدة الظروف الملائمة . لم نرد ان نستبق الاحداث ونستعيد الهجوم ولم نرد كذلك ان نتباطأ به عندما تدعو اليه الحاجة الماسة .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالعمل مع لجنة الدفاع القومي والقيادة العليا وهيئة الاركان العامة ، قد ساهمت الى حد بعيد في اعداد الجيش السوفياتي للمعركة الفاصلة في كورسك في فصلي الربيع والصيف من عام ١٩٤٣ .

ومن بين الاستعدادات للمعركة الفاصلة القادمة قيام تنظيم جديد للجيش اكثر فعالية وظهور حملة نشيطة واسعة لانتاج اسلحة حديثة على مستوى المعركة هذه في حقلي الدفاع والهجوم معا . وفي صيف عام ١٩٤٣ كان الجيش الاحمر على مستوى معركته الفاصلة عددا وسلاحا وذخيرة . ولاول مرة اصبح لديه طائرات مستحدثة الصنع من طراز لار ٥ وياك — ٩ يتراوح عددها بين ٧٠٠ و ٨٠٠ طائرة في كل جبهة ، وزودت سائر قطاعات الجيش بالدراجات النارية والشاحنات ومختلف وسائل النقل برا وجوا وبحرا .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالعمل مع لجنة الدفاع القومي والقيادة العليا وهيئة الاركان العامة قد عبأت طاقات الشعب السوفياتي

شبانا وشابات في معسكر احتياطي ضخم جاهز التدريب كامل العدة والعتاد . ان الدعوة هذه للكفاح المسلح ضد النازية المجرمة كانت اولى عناصر المجهود الحربي الذي انتصر في النهاية .

وفي تموز عام ١٩٤٣ بلغ اعضاء الحزب الشيوعي في القوات المسلحة زهاء ثلاثة ملايين وما يقارب هذا العدد من رابطة الشباب الشيوعي . عمل هؤلاء على نشر الوعي السياسي بين القوات المسلحة وسائر المقاتلين من صفوف الشعب .

ان مرسوم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المؤرخ ٢٤ ايار ١٩٤٣ قد اعاد تنظيم بناء الحزب في الجيش وتوسيع صلاحيات مكاتبه السياسية ضمن الفصيلة او الكتيبة او الفرقة مما ساعد على ضبط اعمال الاعضاء في كل منها .

ان منظمات الحزب كانت قد حشدت قرابة مليون شاب وشابة للعمل في مؤخرة العدو على صورة حرب العصابات مما ساعد على ضعضعة ركائز العدو وافشال كثير من مهماته الرئيسية في عملياته العسكرية .

وفي صيف عام ١٩٤٣ تفوقت القوات السوفياتية في معركة كورس

على قوات العدو كما ونوعا • وبهذا توفرت لدى القيادة العليا الوسائل المضمونة لانتزاع زمام المبادرة من العدو فـي جميع القطاعات وامـلاء ارادتها عليه •

ان القيادة الالمانية بعد ان تيقنت مـن تفوق القوات السوفياتيـة اتخذت ما سمته بالاجراءات الجذرية الكلية لتعزيز جبهتها في كورسك بافضل عناصرها القتالية مستغلة مماطلة الغرب في فتح جبهة اوروبية • ودأبت الصناعة الالمانية على العمل ليلا نهارا واستطاعت في مدى قصير ان تنتج دبابات النمر والفهد ، الضخمة ومدافع « فارديناند » الاليـة وطائرات حديثة من طراز فوكومولف ــ ١٩٠ أ وهنشل ــ ١٢٩ •

حشد العدو في جبهته مع السوفيات ٢٣٢ فرقة المانية ومن دول المحور بلغ تعدادها قرابة خمسة ملايين ونصف المليون و ٥٦ الف مدفـع ومدفع هاون و ٥٨٥٠ دبابة ومدفع رحوي اكسي و ٣ الاف طائرة •

وفي معركة كورسك بالذات حشد العدو ٥٠ فرقة منها ١٦ فرقـة دبابات وفرق اخرى الية ، ١٠ الاف مدفع و ٢٧٠٠ دبابة والفي طائرة • ان هتلر وابواق الدعاية النازية لم يخامرها الشك في النصر على الاتحاد السوفياتي • الا ان امال اعداء الانسانية قـد تبخرت عندما صطدمـت بقلاع الانسانية الحصينة في الطن السوفياتي الوسيع •

وفي اوائل ايار عدت من جولتي في شمالي القوقاس واجتمعـت

بهيئة الاركان العامة التي كانت في هذه الاثناء قد اكملت خطة العمليات للمعركة القادمة . لقد اكدت استخباراتنا ما كانت قد تنبأت به عن امكنة احتمال تمركز العدو وانطلاقات هجومه واتجاهاته . ان العدو قد يبدأ هجومه في الايام القليلة القادمة .

اصدرت القيادة العليا اوامرها الى قادة الجبهات الاربع ـ الوسطى بريانسك فورونيج والجنوبية الشرقية للحذر والاستعداد . سرعان ما يلفت الاوامر الى هؤلاء القادة حتى راحت القيادة العليا تتلقى تقاريرهم عن اوضاع جبهاتهم ومدى استعداداتهم لكل الاحتمالات ، ومن بين هذه التقارير واحد بعثت به قيادة جبهة فورونيج تقترح القيام بهجوم مضاد لمفاجأة العدو وضعضة تركيزه الهجومي . الا انني واعضاء هيئة الاركان العامة لم توافق على هذه الخطة التي قد تكلفنا قسما من احتياطنا في الوقت الحاضر وأبلغنا رفضنا هذا للخطة الى ستالين . القيام بهجمات وقائية كي لا نفسح المجال للعدو بتركيز هجومه على مواقعنا ونجاحه في هذا الهجوم كما حدث في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ . وقد تداولنا هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتدقيق الى ان اقتنع القائد الاعلى بصواب فكرتنا وامر قيادات الجبهات بالاقتصار على الدفاع دون القيام بهجمات وقائية . وبعد ان تكون قد انهكت قوة العدو الهجومية نقوم بهجومنا المضاد على جميع قطاعات جبهة كورسك . فاذا نجحنا تتابع مطاردتنا العدو في الجنوب والجنوب الشرقي وشمالي القوتاس وتصفية فلول قواته في رؤوس جسورها في شبه جزيرة تامان

ونهر الدنيبر وبيلوروسيا وسائر ارجاء الوطن الوسيع .

ولدحر قوات العدو الرئيسية في كورسك اعدت القيادة العليا الخطة التالية :

تفتح قواتنا النار على العدد المهاجم في جميع القطاعات برا وجوا وبنفس الزخم وبدون انقطاع وتساندها عند الحاجة قاذفاتنا ذات المدى البعيد لقصف طلائع العدو ومراكز تموينها ، وتقوم قوات جبهتي فورنيج والوسطى بهجمات مضادة بعد ان يكون العدوقد دخل قلب المعركة .وفي الوقت ذاته تكون قوات حرب العصابات قد بدأت عملياتها في المؤخرة. وبعد استنزاف قوى العدو تقوم الجبهات الاربع ، الوسطى وفورونيج وجبهة سهول الدون الحديثة ــ ويريانسك وجناح الجبهة الغربية الاسير وجناح الجبهة الجنوبية الغربية الايمن بهجمات مماثلة.

وقد اصدرت القيادة العليا اوامرها الى قادة الجبهات المعنية ووزعت عليها المهمات بموجب خطة العمل المرسومة :

على الجبهة الوسطى ان تحمي القسم الشمالي من قطاع كورسك وان تستنزف قوى العدو عمليات دفاعية ستراتيجية ثم تشترك مع جبهة بريانسك والغربية في شن هجوم عام على العدو حول اوريل .

على جبهة فورونيج ان نحمي القسم الجنوبي من قطاع كورسك وتستنزف قوى العدو في عمليات دفاعية ستراتيجية ثم تشترك مع جبهة

سهول الدون والجناح الايمن من الجبهة الجنوبية الغربية في هجـــوم عام على العدو حول بلفورود وخاركوف •

على قوات جبهة سهول الدون ان تتمركــز في مؤخرة الجبهتــين الوسطى وبريانسك على طول الخط الممتد من ايزملكوفو وليفني ونهر كاشين الى بيلي ـ بيلي ـ بولوديز وان ندعم هاتين الجبهتين في هجومهما المقرر •

على جبهة بريانسك والجناح الايسر من الجبهة الغربية ان تصــد هجوم العدو ثم تشترك مع الجبهة الوسطى في الهجوم المقرر على العدو في قطاع اوريل •

على منظمات حرب العصابات في المؤخرة ان تدمر خطوط مواصلة العدو وقوافل تموينه وان تجمع المعلومات عن تحركاته وابلاغها الــى القيادة المعنية في حينها •

وعليها كذلك ان تمنع العدو من استقدام التعزيزات الاحتياطيــة وشنها غارات ليلية على مراكز ذخيرته وتفجيرها •

بدأت استعداداتنا لمعركة كورسك على قدم وساق في النصــف الثاني من نيسان • لقد صرفت معظم الوقت بالتنقل من جبهة الى جبهة اتدارس مع قادتها واعضاء مجالسها العسكريــة ومكاتبها السياسيــة واتداول الآراء والتوجيهات حول مستقبل العمليات القادمة في صيــف

عام ١٩٤٣ • لقد اعجبت بالروح العسكريينة الناشطة لدى قواتنا على حد سواء في الاستعداد الذاتي للمعركة المصيرية • وكان القادة واعضـــاء اركانهم يسهرون الليالي لدراسة وتمحيص ما يردهم من معلومات حـول نوايا العدو وتحركاته ومخططاته ثم يعدون التقاريـر عنها الى القيـادة العليا لاتخاذ القرارات النهائية بشأنها •

- ١٣ -

الهجوم الالماني

ان مخطط العمليات كان يتبدل بتبدل مواقف العدو ومخططاتـــه ونواياه • كان العدو يحـاول ان يخفي نواياه بمجموعـة من التنقلات والمناورات وكان علينا ان نكتشف حقيقة ما يريده من خلال تحليل مـا يصل الينا من معلومات واستنطاقات اسرى ودرسها والتشاور حولها •

لقد استنتجت القياد ةالعليا منخلال تقييمهاالموقف العسكري العام ان العدو يحشد افضل عناصره ضد الجبهة الوسطى حول قطاع اوريل • ولكن في الواقع كما حدث فيما بعد ان جبهة فورونيج كانت تواجـــه قوات اضخم من القوات التي تواجهها الجبهة الوسطى •

قررت القيادة العليا اسناد دور هام الى جبهة سهول الدون فـــي مؤخرة قطاع كورسك لمنع العدو من اختراق محتمل لخطوط الدفـاع ومن ثم تسهيل مهمة قواتنا بالهجوم المضاد بعد استنزاف قـوة العدو •

وهنا تختلف مهمة جبهة السهول في جوهرها عن مهمة جبهة الاحتياط التي كانت تدعم مؤخرة الجبهة الغربية على مشارق موسكو في خريف عام ١٩٤١ •

في قطاع اللواء ١٦ الذائع الصيت كان خط دفاع المدفعية كثيفا للغاية بمعدل ١٤٨ مدفعا في الميل الطولي الواحد • لقد اعتمدنا خطة العمق في خطوط الدفاع من هذا النوع لقطع المجال على العدو وقواته الصاعقة من فتح ثغرات في جبهتنا كما كان يحدث سابقا • واصبحت كثافة خطوطنا الدفاعية في المواجهة على الجبهتين بمعدل ٣٥ مدفعا في الميل الطولي الواحد • هذا بالاضافة الى مجموعة من الحفر والخنادق والمعيقات الاخرى التي من شأنها عرقلة مرور دبابات العدو الضخمة من طراز « النمر والفهد » المصنوعة حديثا •

كان العدو في منطقة كورسك بحشدقوات هائلة من افضل عناصره يعززها بآخر ما توصلت اليه الصناعة الالمانية من اسلحة فتاكة ودبابات وآليات وطائرات مقاتلةوقاذفة • العدو لم يكن يشكو الالة بل الاحتياط

لقد جندت القيادة العليا كل امكاناتها الجوية والبرية والبحرية لمواجهة العدو في جميع قطاعاته في معركة كورسك الفاصلة • واقامت خطا من التحصينات المنيعة طوله ماية ميل وعمقه ١٧٥ ميلا سمي خط الدفاع الوطني على محاذاة نهر الدون •

ليس من السهل ان يعد الاتحاد السوفياتي وفي وقت قصير قرابة مليون ونصف المليون جندي لمعركة كورسك وقرابة الـ ٢٠٠ الفمدفع

و ٣٦٠٠ دبابة و ٣٢٠٠ طائرة بما فيها القاذفات البعيدة المدى في تلك الظروف القاسية .

ان المواطنين في منطقة كورسك قد ساهموا الى حد بعيد في خدمة القوات المسلحة بمضاعفة جهودهم الانتاجي لمتطلبات الجبهة اليومية بالاضافة الى خدمات منظمات المؤخرة في كل جبهة . هذا دليل قاطع على تصميم الشعب السوفياتي بالحفاظ على وطنه ومكاسب اشتراكيته الانسانية ، وتدين كذلك بالثناء والشكر الى الجنرال فاتوفن وروكوسوفسكي اللذين كان لهما اليد الطولى في تنظيم سبل التفاهم والتنسيق مع المنظمات العاملة في المؤخرة لتأمين المواصلات والتموينات للجبهة .

وخلال ايار وحزيران كان مفوضو المكاتب السياسية في كل جبهة يعملون ليلا نهارا على نشر الوعي السياسي بين الجنود لمواجهة اضاليل ابواق الدعاية النازية الناشطة . اصبح المقاتل السوفياتي يفهم لماذا يقاتل وما يعني النصر على العدو بالنسبة اليه والى مستقبل احفاده واخوانه في الوطن الكبير .

لقد حذرت القيادة العليا قادة الجبهات من ان العدو قد يشن هجومه الانتحاري في هذه المعركة الفاصلة في المدة بين ٣ – ٦ تموز على ابعد حد .

وفي ٥ تموز تأكدت المعلومات التي انتزعت من احد اسرى فصائل العدو المتقدمة قرب بلفورود من ان العدو سيشن هجومه في اصيل

الخامس من تموز • وعلى الفور أتصلت بقادة الجبهات بواسطة الخط السري المأمون وامرتهم بفتح النار من كافة القطاعات وفي وقت واحد باتجاه تمركز العدو واعلمت ستالين بالامر فلم يعارض •

وعلى الرغم من قوة دفاعنا واستعداداتنا السابقة فان الوضع كان مثيرا للغاية •

كانت الارض تتزلزل في منطقة كورسك بعد ان فتحنا نيراننا على العدو الذي لم يجاوب الا بطلقات متقطعة من مدفعية متوسطة الامر الذي حملنا على الاعتقاد بأن العدو تكبد خسائر جسيمة في مواقعة بعد حملة النيران المركزة المتواصلة لفترة محددة •

وحوالي الساعة السادسة من اصيل الخامس من تموز بدأ العدو هجومه الاول بالدبابات والطيران على اللواء ١٣ وجناحي اللواءين ٤٨ و ١٧ • فقابلته قواتنا بنيران مدافعها المركزة وراحت مقاتلاتنا تطارد قاذفات العدو • ان النيران التي فتحناها على العدو قبل ساعات لم تستطع ان تحقق اهدافا عسكرية هامة اذ ان قاذفاتنا لم تستطع خلال الليل تعيين مدارج طيران العدو وفي الوقت الذي انطلقت فيه لتدمير هذه المدارج صباحا كانت طائرات العدو قد اصبحت في الجو مما افقدنا زخم الدفاع ذلك الوقت • وبالرغم من ان العدو استطاع ان يضع اسفينا في خطوطنا الدفاعية على مسافة اربعة اميال باتجاه قطاع اولخوفاشما وبضعة قطاعات اخرى في هجمات متكررة ، فانه لم يوفق

الى فتح ثغرة كما كان يفعل لتطويق جبهاتنا . لقد كانت خسارة العدو جسيمة في الآليات والمعدات وخسارتنا جسيمة بالمقاتلين الابطال .

وفي مساء اليوم ذاته قررنا نقل لواء الدبابات الثاني وفرقة الدبابات ١٩ من قوات الاحتياط الى المعركة للاشتراك مع اللواء ١٣ في ضرب اسفين العدو وارجاعه الى مواقعه الاساسية لاعادة تحصين الخطوط التي اخترقها . وبالرغم من بطولة جنودنا وقوة خطوط دفاعنا استطاع العدو بين ٥ ــ ٦ تموز ان يتقدم مسافة ٦ اميال بعد خسائر مرة في الآليات والارواح هذه المرة . الا انه لم يستطع اختراق خطوط الدفاع الستراتيجية لتسهيل عملياته التطويقية رغم ما قامت به طائراته من قصف وحشي مستمر نشر الويل والدمار في معظم القطاعات على الجبهة . وفي اليوم التالي قام العدو بعملياته ضد قطاع اولخوفاشكا ذاته مرة اخرى مستخدما ٣٠٠ دبابة مع التغطية الجوية اللازمة ولكنه فشل للمرة الثانية في اختراق الخط الدفاعي الستراتيجي بفضل ضراوة جنودنا وبطولتهم في الدفاع والصمود .

ظلت محاولات العدو مستمرة حتى العاشر من تموز وقد فشلت جميعها وخسر قسما كبيرا من دباباته وآلياته التي كان هتلر يعتمد عليها في ربح المعركة في كورسك . هذا ما حدث على قطاعات الجبهة الوسطى . اما على قطاعات جبهة فورونيج كان الهجوم الالماني اعنف وتكبد الجانبان خسائر افدح .

كلمني ستالين هاتفيا مساء التاسع من تموز وسألني عما اذا كان قد حان الوقت لاستخدام قوات جبهة بريانسك والجناح الايسر من الجبهة

الغربية . فأجبته ان العدو قد استنزفت قواه حاليا ولا يستطيع القيـام بهجوم من النوع الذي قام به حينذاك . وعلينا نحن ان نعد الان للهجوم العام المضاد حسب الخطة على جميع القطاعات وفي جميع الجبهات قبل ان يستجمع العدو قواه ويعزز مواقعه الدفاعية بانتظار هجوم قادم آخر.

وعلى هذا وافق ستالين توقيتا وتدبيرا .

- ١٤ -

هجوم جوكوف

في ٩ تموز كنت في مقر قيادة برياتسك للاجتماع الى بوبون رئيس هيئة اركان الجنرال سندالوف صاحب الخبـرة الشهيرة في تنسيـــق عمليات الهجوم ومقدرته الشخصية في ضبط اعمال الجنود في الجبهة •

كان هجوم هذه الجبهة قد اعد في وقت سابق •وتتألف الجبهة من اللواء ٣ بقيادة الجنرال غورباتوف واللواء ٦١ بقيادة الجنرال بيلـــوف واللواء ٦٢ بقيادة الجنرال كولباكشي ولواء الحرس ١١ بقيادة الجنــرال بغراميان • وكان هؤلاء القادة يتمتعون بمؤهلات ممتـــازة عسكريـا وسياسيا وخبرة •

وفي تقرير مسهب اقترح رئيس عمليات المدفعية في الجبهة الجنرال سيمينوف ادخال اسلوب جديد الى المعركة وهو القيام بالهجوم وســط

نيران المدفعية لا بعدها كما اعتاد العدو ان يلاقي منا • لقد وافقنا على هذا الاسلوب اقتناعا منا بصوابه •

وفي ١٢ تموز بدأت الجبهة هجومها على خطوط الدفاع الالمانية المحصنة طولا وعمقا وتقدمت باتجاه اوريل ، سارع العدو الى استقدام النجدات من قواته المواجهة للجبهةالوسطى وكانتهذه قد بدأت هجومها فتضعضع مخطط الهجوم الالماني وانهارت قوى العدو امام الزحف السوفياتي • وفي الوقت ذاته كان العدو يشن هجوما ضاريا في قطاع بروفوروكا بالمدرعات والآليات والدبابات على اضخم صورة عرفتها الحرب في البلاد ضد القوات السوفياتية بقيادة فاتوشن واشراف الماريشال فايسلفسكي • وفي ١٥ تموز تقرر بدء الهجوم من الجبهتين فورونيج وسهول الدون على العدو المنسحب قرب بلفورود • تابعت الجبهتان هجومهما لاخراج العدو من القطاع بكامله كي يتسنى لقواتنا ان تجتاز هذا القطاع تحضيرا للهجوم العام على صعيد جميع الجبهات لمطاردة فلول القوات الدخيلة في ارجاء البلاد • الا ان العدو ابدى مقاومة عنيفة قرب مزرعة كومسومول وقرية ايفانوفسكي رفيزلكي ولم تستطع قواتنا ان تتقدم اكثر من ثلاثة اميال واحتلالها بين المرتفعات قرب فيرخوييني • كانت قوا تلواء الحرس ٦ قد انهكتخلال قتالها المتواصل منذ ٤ تموز ولذلك استعنا بفرقةالدبابات ١٨ بقيادةالميجر جنرال بافاروف والفرقة ٢٩ بقيادة كيريشنكو وببعض عناصر اللواء ٥١ بقيادةمنغاروف•

في هذه المناسبة اود ان اعرض الفرق بين جبهة فورونيج والجبهة الوسطى بعكس ما جاء في المؤلف « الحرب الوطنية الكبرى في الاتحاد السوفياتي » • لم تستطع جبهة فورونيج ان تعين في ذلك الوقت منطلق الهجوم الالماني ولا الهدف الذي انطلقت اليه • ولذلك كان عليها ان ترابط على خط دفاعي طوله ماية ميل وبهذهالحال اصبحت كثافة المدفعية بمعدل ٤١ مدفعا و ٤ دبابات في الميل الطولي الواحد مقابل ٥٧ مدفعا و ١١ دبابة في الجبهات الاخرى •

وباختصار فان النقد الموجه ضد الجنرال فانوتن كان خاطئا باعتبار ان المسؤولين في القيادة العليا وهيئة الاركان العامة لم يأخذوا بعين الاعتبار كثافة القوات على خطوط المواجهة والعميقة وبالمقابل اعتمدوا على كثافة المدفعية والدبابات اي خطوط الدفاع الستراتيجية فقط • وفي اية معركة كبرى لا يصح اي حساب من هذا النوع الا اذا شمل جميع الخطوط ستراتيجية كانت ام دفاعية عادية • ان العدو كان قد قذف الى معركة كورسك في المرحلةالاولى ٥ فرق معززة بأضخم الاليات والمعدات ضد جبهة فورونيج بقيادة فانوتن بينما استخدم ٣ فرق ضد الجبهة الوسطى • انني لاقدر شجاعة فانوتن ومهارته في العملياتالحربية والقيادية •

وكما ذكرت آنفا فان خطة الهجوم المضاد في منطقة كورسك كانت قد اعدت قبل خطة رلهجوم الالمانية • وكان الهدف من خطتنا المرموز اليها بكلمة « كيوتوزوف » هو ضرب قوات تجمع العدو حول اوريل وتدمير

مواقعه المحصنة في قلب الجبهة الالمانية السوفياتية • وبعد هجومنا الناجح من الجبهات الثلاث على العدو في منطقة كورسك قرر الالمان سحب قوات الماريشال مانشتاين من حول بلفورود الى خطوطها الاولية التي انطلقت منها في هجومها وذلك لتفادي سحقها كاملا تحت زخم هجومنا الستراتيجي المركز على هذا القطاع الحصين • اما خطة الهجوم الالماني فقد رمز اليها بكلمة « القلعة » •

لقد اوقفت قواتنا زحفها عند وصولها الى مواقع العدو الاولية المحصنة ريثما تتم اعادة تنظيم قطاعات الجيش والتنسيق بين مختلف عملياتها وتجهيز الذخيرة والتموينات الاخرى واستقدام الاحتياط اللازم لمتابعة الهجوم • وتستغرق جميع هذه الاحتياطات ثمانية ايام على الاقل•

لم يكن ستالين مقتنعا بصواب ايقاف الهجوم خوفا من ان يستعيد العدو زخمه ويفاجئنا بالهجوم • لقد عانيت وفاسلفسكي صعوبة اقناع ستالين بعدم جدوى التسرع بمواصلة الهجوم قبل اعادة تنظيم عملياتنا باعتبار ان قواتنا قد انهكت خلال قتال طويل مرير • وبعد عناء طويل اقتنع ستالين على مضض ووافق على خطتنا هذه •

لقد قيل الكثير بعد وفاة ستالين عن تصلبه وعناده وتشبثه بآرائه وعن اتخاذه القرارات العسكرية والسياسية بنفسه دون الرجوع الى احد او التشاور مع المسؤولين الاخرين • ان قولا كهذا لا يمت الى الصحة بصلة • كان ستالين يقتنع ممن لديه حجج دامغة للاقناع • ان الواقع

والمنطق والحمية الدافعة كانت السبيل الوحيد لاقناعه واقتناعه .

ومثال ذلك ان ستالين قد اقتنع بتبديل توقيت الخطة التي اشترك هو باعدادها ووافق عليها وذلك ارتباطا مع التطورات وتبدل المواقف العسكرية عند العدو .

كانت المرحلة الاولى من الخطة دفاعية والمرحلة الثانية هجومية . قامت الجبهة الوسطى بالمرحلة الاولى في ١٢ تموز وجبهة فورونيج في ٢٣ تموز وهذا الفارق الزمني ، بعد ان كان التوقيت واحدا للاثنين معا ، يعود الى تقلب اوضاع القتال وتبدل اجواء المواقف .

وكذلك كان التوقيت واحدا للمرحلة الثانية من الخطة . وقد وقع الفارق الزمني بعامل التطورات بين الهجوم الاول من المرحلة الثانية والهجوم الثاني منها بمقدار ٢٠ يوما .

وفي كل من المرحلتين كان ستالين يقتنع بعد جدية وواقعية بضرورة التبديلات التي كانت تقترح عليه .

ان هجوم جبهتي فورونيج وسهول الدون المرموز اليه بعملية « رومياتنسيف » كان سينطلق من قطاع بلفورود باتجاه يوغوديوخوف وفالكي ونوفايا ــ فودولاغا مارا حول خاركوف نحو الغرب حيث

سينضم اليه هجوم الجبهة الجنوبية الغربية ، الا ان العدو استطاع ان ينسحب الى مواقع دفاعية كان قد اعدها مسبقا لمثل هذه الحالة . وعليه بات من المتوقع ان يعيد الكرة بعد ان تمكن من تكبيد جبهة فورونيج خسائر فادحة بالارواح والمعدات .

كثيرا ما يسألني المؤرخون السوفياتيون عما اذا كانت جبهة سهول الدون قد ادت الخدمة التي شكلت من اجلها . وفي مجال الرد اقول بالايجاب ان هذه الجبهة قد قامت بالخدمة الموكولة اليها وهي العمل على دعم مؤخرة جبهة فورونيج والاشتراك معها بالهجوم عند الحاجة بالاضافة الى تأمين وصول التموينات ووسائل النقل من الجبهة واليها .

ان خطة عمليات « رومياتنسيف » كانت كما يلي :

كان على جبهة فورونيج ان توجه ضربتها الرئيسية باتجاه اختيكرا على تكون كثافة المدفعية على خط المواجهة ٣٥٠ مدفعا في الميل الواحد و ٧٠ دبابة . اما في قطاعات الخطوط الاخرى كانت الكثافة المقررة دبابتين ومدفعين مع التغطية الجوية لجميع القطاعات من لواء الجو الثاني بقيادة كراسوفسكي .

على جبهة سهول الدون بقيادة الجنرال كوتيف ان تسترد بلفورود

وتتقدم باتجاه فاركوف بالتنسيق مع قوات فوررونيـــج . وكان يغطي عمليات الجبهة لواء الجو الخامس بقيادة غوريونوف .

في هذا المجال اود ان اثني على اعمـال رئيس عمليات المدفعيـــة الجنرال فومن الذي كان خبيرا في استعمال معظم انواع المدفعية هجوميا ودفاعيا . وكان مسؤولا عن هذه العمليات في الجبهتين بالاشتراك مـع ممثل القيادة العليا الكولونيل جنرال شيستياكوف .

- ١٥ -

نتائج المعركة

في صبيحة الثالث من آب بدأ الهجوم المضاد في بلفورود بعد ان تبين من الاستكشافات العسكرية ان العدو يحشد قوات آلية ودبابات وتعزيزات اخرى من القطاعات المجاورة لتقوية جبهته في منطقة بلفورود ـ خاركوف • فتحت المدفعية الثقيلة نيرانها من جهة فورونيج لشق الطريق امام جيوش الجبهة باختراقها خطوط الدفاع الالمانية • وفي الواقع استطاعت قواتنا ان تتقدم مسافة ٢٠ ميلا في نهاية اليوم باجتياز خطوط الدفاع الستراتيجية • اما قوات جبهة سهول الدون فلم تستطع ان تتقدم اكثر من ١٠ أميال في نهاية اليوم ذاته بسبب ضعف قواتها المدفعية والجوية من جهة وقوة تحصينات الخطوط الالمانية المواجهة لها من جهة ثانية •

في ٤ آب ابدى الجانبان ضراوة في القتال هجوما ودفاعا • الا ان الجانب الالماني بعد ان شعر باحتمال تطويقه لاذ بالتراجع مما سهل على

جبهة سهول الدون الاسراع في التقدم باتجاه بلفورود من الغرب • وفي ٥ منه استطاعت صباحا كتيبة حرس الرماة ٢٧٠ من فرقة حرس الرماة ٨٩ ان تدخل المدينة مع عناصر الفرقتين ٣٠٥ و ٣٧٥ • وفي مساء اليوم ذاته اطلقت موسكو نيران مدافعها تحية لجبهات بريانسك والغربية والوسطى لاستردادها اوريل وللجبهتين فورونيج وسهول الدون لاستعادتهما بلفورود • كانت هذه تحية الشرف الاولى لنصر الجيش الاحمر خلال الحرب الضروس الطويلة •

وبعد استعراض الموقف كان ستالين قد وافق هاتفيا على خطة رسمناها حول مستقبل العمليات المقبلة في قطاع بلفورود ــ خاركوف على مرحلتين • ينطلق في المرحلة الاولى الالوية ٥٣ و ٥٧ و ٦٩ ولواء الحرس السابع من مواقعنا الحالية في بلفورود جنوبا باتجاه خاركوف على طول الطريق الرئيسي الى المدينة حتى مشارقها • وفي المرحلة الثانية تتحول هذه الالوية غربا وجنوبا غربا لتطويق قوات العدو المرابطة في المدينة وحولها • ومن ثم تنقض عليها فرق الصدام بمساندة قوات جوية ضخمة ودبابات عديدة من طراز ت ــ ٣٤ و ت ــ ٧٠ وغيرهما •

وبعد ان ثبتت اقدامنا في بلفورود قامت قواتنا بمواصلة زحفها الى خاركوف• شعر العدو بعملية تطويق محكمة فلاذت قواته بالانسحاب من المدينة في ٢٢ آب • وفي صباح اليوم التالي دخلت قوات جبهة سهول الدون المدينة وسط اهازيج الكرح والدعاء والتهاليل • ثم اقام اهالي المدينة حفلة استقبال كبرى حضرها ممثلون عن الجيش والحزب والحكومة القيت خلالها خطابات الفرحة بالنصر والتحرير • وكانت موسكو قد اطلقت طلقة التحية والشرف لابطال تحرير خاركوف • وفي

نهاية الغداء الشهي الذي اعد على شرف القادةوالممثلين قدم گوزلوفسكي المغني والفنان الشهير اغنيات روسية واوكرانية بصوت دافىء عـــذب أبكى الحاضرين .

وفي هذه الاثناء كانت قوات سهول الدون تطارد فلول العدو جنوبي خاركوف باتجاه ميريفا . وفي الوقت ذاته كانت قوات فورونيج تجد في اثر العدو في بوغوديوخوفواختيركاوسومي وغادياشوكونستانتينوفكا واواسط نهر الدنيبر وذلك في ٢٥ آب١٩٤٣ . اما قوات الجبهات الغربية والوسطى وبريانسك فكانت تجهز من الناحية الاخرى على بقـايا خلايا العدو في طول منطقة اوريل وعرضها .

وبهذا كانت قد اكتملت عملياتنا الكبرى في معركةكورسك ومناطق اوريل وبلفورود وخاركوف واختيركا بعد خمسين يوما مـن القتـال المرير في معارك شتى ضارية انهزمت فيها القوات النازية التي كانيعتمد عليها هتلر سياسيا وعسكريا وستراتيجيا .

لقد انتصر الجيش السوفياتي في معركة كورسك على ٣٠ فرقـة هي نخبة عناصر العدو الذي خسر في هذه المعركة نصف مليون رجـل والفي دبابة ومدفع رحوي آلي وثلاثة آلاف مدفع وعددا اخر كبيرا من الطيارات المقاتلة والقاذفة والناقلة . لم تستطع الزعامة النازية الفاشستية تعويض هذه الخسائر مهما كانت ضخامة اجراءاتها .

ان النصر المبين لقواتنا في كورسك هو دليل النمو المتزايد لقدرة الكيان السوفياتي وقواته المسلحة . ان هذا النصر كان عصارة المجهود

الجماعي لمختلف الشعوب السوفياتية بزعامة الحزب الشيوعي الساهر على راحة الانسانية في كل مكان • تقديرا لهذا الانتصار منح الحزب الشيوعي والحكومة ما يزيد عنماية الفضابط وجنرالاوسمة ونياشين ولقب بطل الاتحاد السوفياتي •

ان الانتصار الساحق على العدو في معركة كورسك قد احدث صدى دوليا عميقا فرض مركز الاتحاد السوفياتي وهيبته في الصدارة العالمية وخيم شبح الكارثة المحتمة على المانيا النازية •

ان محاولات هتلر المتكررة لاعادة انتزاع زمام المبادرة الستراتيجية من قبضة الاتحاد السوفياتي باستقدامه ١٤ فرقة من ايطاليا وفرنسا قد باءت بالفشل •

ان العمليات السوفياتية في معركة كورسك كانت اكبر منها في اي معركة اخرى سابقا • في معركة كورسك حشدنا ٣٣ لواء بكامل معداتها وعتادها تساندها قوات جوية حديثة ضخمة • اما في معركة موسكو مثلا فلم نستطع ان نحشد اكثر من ١٧ تنقصها الحماية الجوية اللازمة والدبابات • وكذلك معركة ستالينغراد فان الحشود التي توفرت لدينا انذاك بلغت ١٤ لواء فحسب وتنقصها ايضا الحماية الجوية المطلوبة والدبابات اللازمة •

في معركة كورسك وللمرة الاولى استعملنا فرقا الية حديثة ووحدات من الدبابات من طراز ت ــ ٣٤ وت ٧٠ وكف مما مكن وحدات الصدام لدينا من شق خطوط الدفاع الالمانية وفتح الثغرات فيها وتسهيل عمليات التطويق والمحاصرة •

ان القوات السوفياتيةفي المرحلة الثانية من الحرب كانت قد اصبحت على مستوى المعارك سلاحا وسرعة وتنظيما . وازدادت كثافة المدفعية والدبابات على طول خطوط المواجهة بحيث بلغت معدلا عاما من ٢٥٠ مدفعا و ٢٥ دبابة في الميل الطولي الواحد من خط المواجهة .

ومن بين العوامل الحاسمة في النصر في معركة كورسك هو الوعي السياسي بين مقاتلينا . هذا الوعي الذي دأبت منظمات الحزب السياسية على تلقينه ونشره بين الجنود قبل المعركة وخلالها .

ان حرب العصابات لم تدخل في حسبان هتلر . لقد ساهمت هذه الى حد بعيد في الحرب السوفياتية الهتلرية وفي معركة كورسك بصورة خاصة بعملياتها التخريبية في مؤخرة العدو بنسف خطوط مواصلاته وتدمير مراكز محتوياته واقتناص مستطلعيه وضعضعة مفعول عملياته ومخططاته في المقدمة وجمع المعلومات السريةعن مواقع العدو الستراتيجية ونواياه لصيف عام ١٩٤٣ .

-١٦-

معركة برلين

ان الانقضاض على برلين كان نهاية النازية واستسلام المانيا الفاشية دون قيد او شرط عسكريا وسياسيا واقتصاديا . سقط معقل النازية وتضعضع مركز المانيا السياسي في الحياة الاوروبية . لقد نفذ الاتحاد السوفياتي هدفه بتصفية الجهاز الفاشستي في المانيا سياسيا واجتماعيا وتنادى الى محاكمة مجرمي الحرب النازيين المتوحشين .

لقد تبلورت خطة القيادة العليا الستراتيجية للعمليات العسكرية النهائية في الحرب عام ١٩٤٤ بعدما بلغت القوات السوفياتية مشارق بروسيا الشرقية ونهري فستيولا وناريو على جبهة عريضة في هجومين مركزين باتجاه وارسو وبرلين ورادوم بقصد التمركز على خط يمتد من

بيدغوج شرقا حتى يوزنان جنـوبا لكونه خطـا ستراتيجيا للعمليـات الهجومية على العاصمة واحتلالها .

كانت القيادة العليا تعرب عن قلقها لاستمرار التوغل فـي قلـب المانيا تخوفا من وقوع مفاجآت ليست بالحسبان .الاان القوات الالمانية كانت قد انهارت معنويا وعسكريا ولـم تستطع ان تبدي مقاومة مـن شأنها ان توقف الزحف السوفياتي باتجاه العاصمة بسبب فقدان الاحتياط اللازم لذلك .

كانت القوات الالمانية تتراجع عن خطوط دفاعها باستمرار مما شجعنا على مواصلة الزحف واحتلال منطقة مازاريتز ويومارانيـا بفضل جيش الصدام الخامس وحرس الدبابات الاول والثاني بصـورة مباشرة بعـد محاصرة حامية يوزنان وعددها ستون الفا . استمرت اعمال تصفية هذه الحامية حتى ٢٣ شباط ١٩٤٥ .

ان مخاوف ستالين كانت على حق . فقد استغل العـدو شساعـة المسافة بين جبهتينـا من الجنوب الى الشرق وشن على قواتنـا هجوما عنيفا في اراضيه ولاول مرة من شمالي يومارانيا باتجـاه نهـر الاودر وشمالا باتجاه ارنترولد وكبدنا خسائر فادحة . الا ان نجدة الاحتياط من القيادة العليا قد ارسلت الينا في حينها مما ساعدنا على اعادة مواصلة الزحف والمرابطة على الخط الممتد من شرقي يومارانيا وبحر البلطيـق

بين دانزغ وستاتسن • وفي اوائل اذار تمكنت قواتنا من مسح شاطىء البلطيق والسيطرة على الضفة الشرقية لنهر الاودر • وفي اوائل نيسان كانت قواتنا قد توغلت مسافة ٣٠٠ ميل في قطاع نهري فستيولا والاودر وباتت على ٥٠ ميلا من برلين •

الا ان سرعة العمليات الالمانية في قلب اراضيها مكنتهم من شـن هجوم صاعق على قواتنا جنوبي ستتغارت وارغمتنا على التراجع ثمانيـة اميال بعد ان استعان العدو بما توفر لديه من الاحتياط يومذاك •

اتصلت بالقيادة العليا وطلبت مزيدا من قوات الاحتياط (مدفعية ودبابات) فأرسلت الينا بالحال واستطعنا في مدى ١٧ يوما ان نصل نهر النايس • كانت المقاومة عنيفة عبر النهر ولذلك لم نستطع العبور فاتخذنا مواقع دفاعية على ضفته الشرقية •

كانت قواتنا قد تكبدت خسائر مرة في عملية قطاع نهري فستيولا والاودر ولذلك لم تتمكن جبهتنا من القيام بعملية اسقاط برلـين فـي شباط عام ١٩٤٥ •

وفي ٢٠ نيسان عام ١٩٤٥ فتح جيش الصدام السوفياتي الثـالث نيرانه على مدينة برلين واحتدمت المعركة حول المدينة من الجنـوب والشرق • لم يشهد التاريخ البشري مدينة محصنة الدفاع والمقاومة مثل

هذه المدينة . ان كل شارع ورصيف وبناية ومتراس وخندق كان حصنا بحد ذاته . ولذلك لم تتمكن قواتنا الضخمة بجميع وسائلها الحربية الحديثة من طيران ودبابات ومدافع وصواريخ ارضية ، ان تخضع المدينة الا بعد عشرة ايام من القتال الرهيب استخدمنا فيه الاضواء الكاشفة ليلا واخر ما توصلت اليه الحرب الحديثة نهارا . واعتمدنا ان يكون النصر على اخر خلية للمقاومة في قلب المدينة في ايار يوم العمال العالمي تيمنا بيوم الكادحين في العالم في عيدهم المجيد هذا .

في هذه الساعة تذكرت حصار التجويع في لينغراد وجرائم العدو في معركة موسكو وستالينغراد وكافة ارجاء الوطن السوفياتي الكبير .

لقد تمكن معاونو هتلر امثال بورمان وغورينغ وهملر وكابشل وجودل من الفرار اما هتلر وغوبلز فقد انتحرا يأسا وبؤسا .

لقد حاول الزعماء النازيون انقاذ المانيا الفاشية بمحاولات متكررة للاستسلام المشروط بالمناورة والمداورة ، لكسب الوقت لعلهم يستطيعون الكر على السوفيات ويوقعون بهم في قلب البلاد . الا ان محاولاتهم باءت بالفشل اذ تنبه القادة السوفيات الى هذه الخطة الخبيثة المبيتة .

لقد حاولت الحكومة الجديدة برئاسة الادميرال دوتنز ان تستخدم خبرة الجنرال غريس السياسية والدبلوماسية العسكرية الى جر الجنرال شويكوف الروسي الى محادثات مطولة لكسب الوقت الا ان هذه الحيلة

لم تمر كذلك لان سوكولوفسكي الجنرال المفاوض كان قد ابلغ غريس ان الاستسلام الوحيد المقبول هو الاستسلام الكلي غير المشروط اقتصاديا وسياسيا وعسكريا والا فان قواتنا ستستمر بالضرب حتى التصفية النهائية .

ولما اتضحت نوايا الزعماء النازيين رضخوا لارادة الحلفاء فاجتمعت قيادتهم ووقعت وثيقة الاستسلام بدون قيد او شرط معترفة بالهزيمة النكراء .

الفهرس

من منشورات الشركة اللبنانية للكتاب

بناية صالحة والصمدي ـ الطابق السابع رقم ٧٤ تلفون ٢٤٨٥٢٤

١ —	مذكرات ديغول	تعريب رفيق عطوي
٢ —	مذكرات تشرشل	» » »
٣ —	لو ينطق البحر	» » »
٤ —	نابليون والنساء	تعريب ميشال شاهين
٥ —	امرأة في الثلاثين	بلزاك
٦ —	الزوجة الضائعة	»
٧ —	القضية الغامضة	»
٨ —	الطاعون	البير كامو
٩ —	الغريب	» »
١٠ —	عصر اللامبالاة	البرتو مورافيا
١١ —	العصيان	» »
١٢ —	كولومبا	بروسبير ماريميه
١٣ —	راسبوتين ونساء القياصرة	غاستون لرو
١٤ —	تاراس بولبا	نيقولاس غوغول
١٥ —	مأساة أم	بيرل باك
١٦ —	الزنبقة الحمراء	اناتول فرانس
١٧ —	البؤساء	فيكتور هيجو
١٨ —	تيريز راكان	اميل زولا
١٩ —	حب وانتقام	الكسندر دوماس
٢٠ —	جنون الحب	جان ويلرز
٢١ —	هوشي مينه	جان لاكوتور
٢٢ —	اسس اللينينية	ستالين
٢٣ —	الجريمة والعقاب	دوستوفيسكي
٢٤ —	ابك يا بلدي الحبيب	الآن باتون
٢٥ —	روايات تاريخ الاسلام ٢٣ جزءاً	جرجي زيدان

الثمن ٥ ليرات لبنانية أو ما يعادلها